أحداث ومشاهير إسلامية



الملك عبد العزيز آل سعود

مراجعة: د. أحمد حطيط



دار الفكر اللبناني

الملك عبد العزيز بن سعود

الملك عبد العزيز بن سعود

إعداد
الدكتور أحمد حطيط

دار الفكر اللبناني
بيروت

دار الفكر اللبناني
للطباعة والنشر

كورنيش المزرعة - تجاه علوية تلفون
هاتف: ٣١١٥٧٨ - ٨٦٣٣٩٢
ص.ب. ٤٦٩٩ أو ١٤/٥٤٩٠
تلكس: DAFKLB 23648 LE - بيروت، لبنان

الطبعة الأولى ١٩٩١

مقدمة

ولد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود سنة ١٢٩٧ هـ ، أنشأه والده الإمام عبد الرحمن نشأة إسلامية خالصة ، وأعدَّه إعداداً يباً للعمل الكبير الذي ينتظره ، فأشركه ، منذ نعومة أظافره ، في مؤتمر الذي عُقد في الرياض ، لتنظيم العلاقات مع حائل . ولئن ان هذا الاشتراك رمزياً ، فقد فتح عينيه على الحياة السياسية ، ساعد على تفجير ما يكمن في نفسه من طاقات جعلت منه القائد كبر في بلاد العرب .

وشاءت الأقدار أن يجلو عبد العزيز مع والده عن الرياض إلى كويت ، بعد أن احتلَّها آل الرشيد سنة ١٠٣٨ هـ ، وتشتَّت شمل سرة السعودية في مختلف أرجاء الجزيرة العربية إلى أن قُيِّض أمير الشاب ، بعد حوالى عقد من الزمن ، أن يعود إلى الرياض نحاً منصوراً ، مجدِّداً مُلْك آبائه وأجداده . ثم انطلق بعدها لبسط يطرته على كامل بلاد نجد والحجاز وعسير ، وأعلن قيام المملكة عربية السعودية سنة ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣٢ م ، ونقلها من عالم البداوة القديم إلى عالم الحضارة الحديث ، وحمل إليها ما ابتدعته الحضارة

والمدنية من إنجازات في مختلف الميادين .

ومجمل القول ، فإن سيرة الملك عبد العزيـز آل سعود تؤلِّف تاريخاً سياسياً حافلاً للمملكة العربية السعودية التي بناها بساعـده ، وأقامها بحدٍّ سيفه ، بحدودها الحاضرة ، وسلطتها السعودية المستمرة والمستقرة منذ ذلك الحين .

ولادة عبد العزيز ونشأته

ولـد الملك عبد العزيز في قصـر أبيه بـالريـاض ليلة التاسـع والعشرين ذي الحجة سنـة ١٢٩٧ هـ / ٢ كانـون الأول ١٨٨٠ م . ووالدته هي الأميـرة سارة ابنـة الأمير أحمـد السديـري ، من منطقـة السدير بجوار الزلفى .

تعلَّم القرآن الكريم على يد المطوِّع القاضي عبد الله الخرج ، فختمه في الحادية عشرة من عمره . كما تلقى أصول الفقه والتوحيد على يـد الشيخ عبـد الله بن عبد اللطيف . وتعلَّم الكثيـر من أحوال العـرب وألمَّ بتاريخهم من خـلال مرافقتـه المستمرة لـوالـده الإمـام عبد الرحمن ، وحضوره مجالسـه . لكن الأحداث المتتـالية ، التي كانت نجد مسرحاً لها ، والتي أحاطت به من كل جانب ، منذ طفولته المبكِّرة ، جعلته يتَّجه باتجـاه آخر ؛ فـانخرط في قلب الأحـداث ، وهيَّأ نفسه لتحمل مسؤولية القيادة والمواجهة .

ففي عام ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م ، ألمَّت بالوطن النجدي محنةٌ قاسية على يد ابن الرشيد قضت على استقلالـه ، وأخرجت الأمـراء

السعـوديـين من ديارهم وشـرَّدتهم في أنحـاء مختلفـة من الجـزيـرة العربية . فالتجأ الإمام عبد الـرحمن الفيصل وولـده عبد العـزيز إلى الكويت التي كانت آنذاك تحت إمرة الشيـخ محمد الصبَّـاح . ومنذ ذلك الحين ، بدأ عبد العزيز الصغير يعيش بالعمق هدف العودة إلى موطنه الأصلي ، الـذي كان همَّـه الأكبر وهـاجسه الـدائم ، إلى أن تحقَّق له ذلك في فترة وجيزة من الزمن . لا بل تمكَّن من تغيـير وجه الأحداث والتاريخ في شبه جزيرة العرب .

وقبل أن نستعرض الدور الذي لعبـه هذا الـرجل على امتـداد نصف قرن من تاريخ هذه الدولة ، لا بدّ من العودة إلى الوراء لتسليط الضوء على الجذور التاريخية لهذه الأحداث ، بدءاً من أواسط القرن الثامن عشر ، تاريخ بروز وتوسع السلطة السعودية الأولى في نجد ، وعلاقتها مع الحركة الوهابية حتى سقوط نجد على يد ابن الرشيد ، وخـروج الأمراء السعـوديـين منها ، لمـا لذلـك من تأثيـر كبيـر على التطورات اللاحقـة ، خصوصـاً الدوافـع والأسباب التي انـطلق منها عبـد العـزيـزوالنهـج الـذي سلكـه ، والمـواقف التي اتخـذهـا ، والتحالفات التي أقامها على طريق تحقيق أهدافه .

هذا ما سنتبيّنه باختصار ، فيما يلي ، ومن ثَمَّ نعـود إلى سيرة هذا القائد العظيم .

فمنذ القرن السادس عشر كانت مقاطعات نجد والحجاز وعسير والربع الخالي ، التي تكوِّن اليوم المملكة العربية السعودية ، مقسَّمة

إلى إمارات وأجزاء مختلفة ، يحكمها الأمراء والزعماء العرب حكماً قبلياً ، بحسب التقاليد الموروثة . وبعد أن استولى العثمانيـون على جميع البلاد العربية ، بقيت هذه المنطقة مستقلة داخلياً ، وخضعت للدولة العثمانية من الناحية الاسمية فقط .

وكـانت قبيلة آل سعـود ، التي تعـود إلى سعـود بن مقـرن بن مرخـان ، من أكبر القبائل في الجزيرة العربية . تنقَّل زعماؤها الأُول بين « القطيف » و « المليبد » و «غصيبة » ، قرب الدرعية ، وهجـر ، وحجر اليمامة وما جاور هذه الديار .

وكان مرخـان رحل مع عشيرته إلى جهات المدينة المنورة ، في حين أن أحد أنجالـه مقرن بن مـرخـان استـطاع أن يوطِّـد حكماً في « الدرعية » التي جعلها عاصمته سنة ١١٠٠ هـ / ١٦٨٢ م ، واعتبر الجَـدُّ الأكبر لأسـرة آل سعود الحـالية ، **ومؤسس الـدولة السعـودية الأول** . وبعـد فتنـة وقعت بين أولاد هــذا الأخيـر ، آل الحكم في الدرعية إلى محمـد بن سعود، الـذي كان لـه التأثيـر الكبير في إنشـاء المملكة العربية السعوديـة . وكان لـه ارتباط وثيق بـالدعـوة الدينيـة الجديدة التي تولاها العالـم ، المصلح الاجتماعي والديني ، الشيخ محمـد بن عبد الـوهاب ، حيث سـاعد التحـالف بين الرجلين على انتشار هذا المذهب انتشاراً واسعاً في الجزيرة العربية .

وتعتبر الحركة الوهابية من أبرز الحركات الدينية والإصـلاحية التي عرفها العالم العربي في العصر الحديث . ومؤسسها محمد بن

عبد الوهاب هو رجل نجدي من عيينة ، ولد عام ١١١٥ هـ ، وطاف في الحجاز والعراق وسوريا ، ودرس فقه الإمام أحمد بن حنبل ، كما شرحه الإمام ابن تيمية ، فخلُص إلى الاعتقاد بأن الإسلام ـ في شكله السائد في عصره ـ قد شوَّهته البِدَع التي لا تمتّ إلى الدين بصلة ، وعقد العزم على أن ينقّيه من كل شائبة ، انحرفت به عن سبيل القرآن وسنَّة الرسول ، ويعيده إلى صفائه القديم الذي كان له في عهد السَّلف الصالح . . .

لكنه ما أن أعلن شجبه لمظاهر التقديس التي يُحاط بها مقام أحد الأولياء في مسقط رأسه عيينة حتى نفي منها .

وفي عام ١١٥٨ هـ / ١٧٤٠ م ، التجأ محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن سعود في الدرعية ، وكان هذا الأخير خصماً لشيخ عيينة ، فأكرمه وعظَّمه ونصره في دعوته ورسالته . فأخذ الشيخ يأمر بالمعروف ويَنْهى عن المنكر ، ويعلِّم قواعد التوحيد . ثم أمر بالجهاد وحضَّ الناس عليه . وسرعان ما اكتسب مذهبه جمهرةً ضخمة من الأنصار والمُريدين ، وعلى رأسهم محمد بن سعود نفسه الذي سلخ بقية عمره في القتال من أجل نشر الوهابية في بلاد العرب .

توفي الأمير محمد بن سعود عام ١١٧٩ هـ / ١٧٦٥ م ، وخلفه ابنه عبد العزيز بن محمد ، فواصل تبنّيه للدعوة الوهابية ، واستولى على الرياض عام ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م ، وفتح الاحساء ، وحاول فتح الحجاز ، ووصلت قواته إلى كربلاء في العراق . وفي

عهده امتد سلطان السعوديين من شواطىء الفرات إلى حدود عمان ، ومن الخليج العربي إلى أطراف الحجاز وعسير .

توفي محمد بن عبد الوهاب عام ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م ، بعد أن تعمّقت الدعوة في النفوس . وفي سنة ١٢١٧ هـ / ١٨٠٣ م ، شنَّ الوهابيون هجوماً على مكة ، وبعد عام واحد سقطت المدينة المنوَّرة ، وكان ذلك في عهد سعود بن عبد العزيز . وما أن حلّت سنة ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م ، حتى كان السعوديون الذين تحالفوا مع الحركة الوهابية ، قد أتمّوا السيطرة على كامل شبه الجزيرة العربية ، وأصبحت مملكتهم تضم نجد ، والحجاز ، وعسير ، واليمن ، وحضرموت ، والاحساء ، والبحرين ، والبصرة ، وقسماً من العراق ، كما امتدّ سلطانها حتى بلغ حوران في سوريا .

وفي العام ١٢١٨ هـ ، اغتيل الأمير عبد العزيز في مسجد الطريف بالدرعية .

أوجست الحكومة العثمانية خيفةً من هذه المملكة الناشئة ورأت نفسها عاجزة عن التغلّب عليها ، لأنها كانت تستند إلى عقيدةٍ دينية تمكّنت من نشرها ، وأرست قواعدها في شبه الجزيرة العربية ، فلجأ السلطان العثماني إلى والي مصر ، محمد علي باشا ، وكلّفه وضع حدّ لهذه الحركة ، فوجّه عدة حملات إلى الجزيرة العربية ، قاد بعضها بنفسه ، وأوكل بعضها الآخر إلى ولديه طوسون وإبراهيم .

وقد أفضت هذه الحملات عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م ، إلى انكفاء الحركة الوهابية .

كما وجد الأتراك في الخلافات التي نشبت بين الأمراء السعوديين أنفسهم فرصة ذهبية لتنفيذ أهدافهم ، فاستولوا على الاحساء ، وبعض المقاطعات الأخرى ، وهدموا الدرعية من أساسها .

وقبل نهاية القرن التاسع عشر ، تمكَّنت أسرة الرشيد من احتلال الرياض ، وإجلاء آل سعود عن موطنهم الأصلي ، فاستقروا في الكويت ، بعد فشل مساعي متصرّف الاحساء العثماني للتفاوض مع الإمام عبد الرحمن الفيصل لتسليمه ولاية الرياض وإعطائه مبلغاً من المال باسم الخراج ، شريطة أن يُعلن خضوعه للسلطنة العثمانية ، فاعتذر الإمام عن ذلك ورحل برفقة ولده عبد العزيز إلى الكويت . ثم عاودت السلطنة الاتصال بالإمام ، وأسفر ذلك عن تخصيص ستين ليرة ذهباً تُدفع له شهرياً ، خلال إقامته في الكويت .

عبد العزيز في الكويت

استقرّ الإمام عبد الرحمن الفيصل وولده عبد العزيز في الكويت ، بعد المحنة التي ألمَّت بالوطن النجدي ، وكان لهذا الأخير من العمر أحد عشر سنة . ورأى عبد العزيز عمومته يتنازعون الملك ويتحاربون في سبيله ، ورأى كيف استغل ابن الرشيد هذا

الخلاف ، فانقضّ علي نجد يحتل مدنها وأريافها ، الواحدة تلو الأخرى ، وشاهد والده الإمام عبد الرحمن كيف كان يستبسل في الذود عن الحمى المُستباح ، دون أن ينجح في ردع المعتدين ، لأن خصومه استطاعوا استغلال النزاعات بين زعماء القبائل والعشائر لمصلحتهم ، وتمكنوا من السيطرة على البلاد النجدية بحد السيف ، مما جعل هذا الأمير الفتى يطرح اهتماماته بالتعليم واكتساب المعرفة جانباً ، ويلتفت إلى « السيف » لتحرير موطنه الأصلي .

وقد أهّلته نشأته والميزات التي تمتّع بها منذ الصغر لهذه المهمة الجسيمة ، وتمرّس بكل ما يحتاج إليه الشاب لمواجهة الحياة وتحدّياتها بمسؤولية وقوة وصمود . كما زادته ديار الاغتراب تقشفاً وصلابة ؛ فقد سكن مع عائلته بالكويت ، في بيت صغير ، وإلى جانبه كوخ صغير من الطين ، جُعل خصّيصاً لعددٍ ضئيل من الخدم المخلصين . ثم إن المخصص المالي الذي أقرّه السلطان العثماني لهذا البيت ، لم يكن يصل إليه بانتظام ؛ مما جعل العائلة تعاني من أبشع صور العوز والحاجة .

وإذا قارنا هذا الواقع ، الذي آلت إليه ظروف هذه الأسرة ، بالأمس القريب ، يوم كان عبد الرحمن الفيصل من أعظم الأسر في دنيا العرب ، حيث وصلت فتوحاتها إلى قلب الجزيرة العربية ، وشواطىء البحر الأحمر ، والفرات ، والخليج الفارسي ، والحجاز بأسره ، واليمن ، والبحرين ، وعمان ، يظهر لنا بوضوح حجم

المعاناة والضِيْق الذي كان عليه الإمام عبد الرحمن الفيصل وأسرته ، في تلك الفترة الحرجة من تاريخهم .

فانطوى الإمام عبد الرحمن على نفسه ويئس من إمكانية العودة إلى نجد ، لتشييد ملك آل سعود من جديد .

أما عبد العزيز ، فكان أشدَّ تصميماً على تحقيق الهدف الكبير ، وانطلق من هذا الواقع المرير ، متحلِّياً بالصبر والصلابة . وبدأ يعد نفسه جسدياً ، بالتدرّب على الفروسية ، واتقان إصابة الهدف ، ونفسياً بالتقشف وحرمان الذات ، إضافة إلى اهتمامه ، منذ صغره ، بدراسة القرآن ، وأصول اللغة ، والشعر ، وسيرة بني قومه . وكان إلى جانب ذلك يعمل صامتاً ، ويجمع الأخبار عن بلاده ، من قوافل التجار والعشائر المتنقلة بين مختلف أنحاء الجزيرة ، مما جعله مميزاً بين أقرانه ، من أمراء آل سعود ، وفتح أمامه الطريق لأن يكون الأمير المنقذ ، المحرِّر للأرض ، والجامع لشتات أهلها . وبدأ ينخرط مباشرة في قلب الأحداث التي توالت على المنطقة بدءاً بما جرى في الكويت ذاتها .

التحالف مع شيخ الكويت الجديد
مبارك الصباح على طريق تحقيق الهدف

لم يكن الإمام عبد الرحمن الفيصل يرتاح لحاكم الكويت الشيخ محمد الصباح ، وجاراه في ذلك الشعب الكويتي الذي كان

يتذمر من الحكم القائم الذي تنقصه الخبرة والكفاءة . فما أن تمكَّن الشيخ مبارك الصباح من القضاء على أخيه الشيخ محمد والسيطرة على الحكم في الكويت ، واكتسابه ثقة الشعب ، حتى بادر الإمام عبد الرحمن الفيصل إلى تعزيز علاقته معه . وقام بين الرجلين تحالف وطيد لمواجهة المؤامرات والدسائس التي بدأت تُحاك من قِبَل أخصامهما ؛ ذلك أن تحالفاً بين يوسف آل إبراهيم ، خال أبناء الشيخ المغدور محمد الصباح ، وعبد العزيز آل الرشيد ، أمير حائل ، مدعوماً من الدولة العثمانية ، هَدَفَ إلى الاستيلاء على الكويت .

شارك الإمام عبد الرحمن وولده الأمير عبد العزيز في المواجهات التي جرت بين الجانبين ، ثم بدأ الصراع يأخذ منحى خطيراً ، عندما دخلت كل من بريطانيا وتركيا طرفاً مباشراً فيه ؛ فقد كان والي البصرة العثماني ، كثير الاهتمام بما يجري في الكويت ويرقب أميرها مبارك الصباح بدقة وعناية . وكان يقدم إلى السلطان العثماني تقارير سريَّة يومية عنه ، متهماً إياه باغتصاب السلطة ، وبالبذخ ، والترف . فاتخذ السلطان العثماني فرماناً بتنحية أمير الكويت ، واستبداله بأحد ابني أخيه محمد الصباح اللذين هربا إلى القسطنطينية بعد مقتل أبيهما .

أدرك الشيخ مبارك الصباح خطورة الوضع ، وقرَّر الاستعانة بالإنكليز ، ووقَّع معهم اتفاقية سرِّية ، وعد بموجبها ، بمنحهم

امتيازات مقابل دعمهم له وحلع « رداء الحماية عليه » .

إزاء استعانة شيخ الكويت ببريطانيا ، عمدت الدولة العثمانية إلى دعم عدوه عبد العزيز بن الرشيد في الاستيلاء على الكويت ، وضمها إلى ممتلكاته ، « طالما آل الرشيد من أتباع الدولة المخلصين » . فسارع الشيخ مبارك إلى إغراء عشائر **العجمان** ، **والضفير** ، **والمنتفق** ، بالمال ، كما نجح في استمالة آل سعود أخصام ابن الرشيد ، على أساس دعمهم في استعادة سلطتهم على الرياض .

وهكذا ، بدأت المعركة بين ابن الرشيد وحلفائه من جهة ، والشيخ مباركٍ الصباح من جهة ثانية . وفي أثناء المواجهة الأولى بين الفريقين ، أُنيطت قيادة قسمٍ من جيش الشيخ مبارك إلى الإمام عبد الرحمن الفيصل .

أما عبد العزيز ، فقد عُهد إليه بقيادة مجموعةٍ من راكبي النوق السريعة لتحريض أهالي نجد على آل الرشيد ، والاستيلاء على الرياض التي تمكّن عبد العزيز من احتلالها خلال يومين فقط . وفيما هو يعد العدَّة لاحتلال الحصن الذي امتنعت فيه حامية ابن الرشيد ، وصلته أخبار هزيمة القوات الكويتية في معركة الصريف ، ٢٦ ذي القعدة ١٣١٨ هـ / ١٦ فبراير ١٩٠١ م ، فغادر الرياض ، على عجل ، لمواجهة تهديد ابن الرشيد لمدينة الكويت .

كانت معركة الصريف ، أول اختبار جدِّي لعبد العزيز باتجاه

تحقيق هدفه الأساسي الذي يتمثّل بالعودة إلى الرياض .

استرداد الرياض والقصيم

كان عبد العزيز دائم القلق تجاه الوضع الذي تكابده بلاده تحت سلطة ابن الرشيد ، لا سيما بعد الهزيمة التي مني بها الشيخ مبارك الصباح . وقرّر بعنادٍ بذل كافّة الجهود لاستعادة الرياض ، فأخذ يهيىء نفسه ، لتحقيق هذا الهدف . وقد شجعته على ذلك شقيقته « نورا » التي كانت تتمتع بذكاء حاد وقوة وإباء ، وشاطرت شقيقها عبد العزيز هموم العودة إلى وطنها الأصلي .

أُطلع عبد العزيز والده الإمام عبد الرحمن على نواياه ، فلمس عنده حذراً شديداً ، من مغبة التسرّع والإقدام على هذا العمل . وخشي من النتائج السلبية التي ستترتب على أي فشل ، وراعه أن يغامر ولده عبد العزيز ، ويعرِّض نفسه للهلاك ، فنصحه بالتريث وانتظار الفرصة المناسبة .

لم يكن عبد العزيز بحاجة إلى أي جهد لإقناع الشيخ مبارك الصباح بدعم خطته ، ومساندته في تحرير أرضه ، خصوصاً بعدما حشد ابن الرشيد القوات والقبائل ثانيةً ، وحاول مهاجمة الكويت ، ثم استدرَّ دعم الأتراك في بغداد لمواجهة الإنكليز الذين وقفوا له بالمرصاد ، فدعموا الكويت ، ودرَّبوا قواتها على استعمال الأسلحة الحديثة .

لذلك ، رأى الشيخ مبارك الصباح في إصرار عبد العزيز على العودة إلى الرياض ، فائدة كبيرة لخطته القاضية بإشغال ابن الرشيد في نجد ، بعيداً عن الكويت . فتطابق ، في هذه المرحلة ، موقف كل من الرجلين مع الآخر .

اعتبر عبد العزيز أن الفرصة أصبحت مؤاتية ، فعاد مجدداً يطلب بإلحاح موافقة والده على مشروعه ، فأذعن لطلبه ، لكنه اشترط عليه ، في حال انتصاره على ابن الرشيد ، واستعادة الرياض ، أن يكون عبد العزيز حاكماً عليها ، عوضاً عنه لأنه لا ينشد الحكم والسلطان . فودَّع عبد العزيز والده قائلاً : « أي والدي ، إنك لا تراني بعد الآن إلاَّ منتصراً . . . أو أنك لا تراني أبداً ! » .

وهكذا ، وبقلب شجاع وقوة تستند إلى الحزم والعزم والإخلاص، أخذ عبد العزيز قراره النهائي بعد استشارة مضيفه الشيخ مبارك ، الذي قدَّم له ناقة سريعة ، وثلاثين بندقية ، وكمية من الرصاص ، وبعض المال والزاد .

وفي ليلة ظلماء من عام ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م ، خرج عبد العزيز برفقة أربعين شاباً من رفاقه الأشاوس ، بينهم شقيقه الأمير محمد وابن عمه الأمير عبد الله بن جلوي الذي عُرف بالقوة والشجاعة . وقصد بادىء الأمر عشائر العجمان التي تمنّع رؤساؤها عن الانضمام إليه ، في حين سار معه عدد كبير من العامة ، فقادهم

في الصحراء حتى وصل موقع « العرض » ، في نجد ، وغـزا عرب قحطان ، التابعة لابن الرشيد ، وطال أيضاً مضارب شمر ، معقل آل الرشيد ثم عاد إلى الاحساء . وقد تركت تحركاته هذه أثراً كبيراً في مختلف أنحاء نجد ، وبـدأت الامدادات تصـل إليه من كـل ناحيـة وصوب .

أما ابن الرشيد ، فقد أغـار على أطراف الكـويت ، مقلِّلاً من أهميـة تحركـات عبد العـزيز في نجـد ، واتصـل بحكـومـة البصـرة العثمـانية لتـوعز إلى حكـومة الاحسـاء ، بـطرد ابن سعـود من تلك النـواحي ، فأجـابته إلى طلبـه ، مما جعـل عدداً كبيـراً من الهجان والفرسان ينفضّون عنه ، خوفاً من الأتراك وابن الرشيد .

إزاء هذا التطور السلبي ، كـان على عبد العـزيز آل سعـود ، الـذي صمَّم على الوصـول إلى هدفـه ، أن يشق طريقـه ، دون أي تردّد ، معتمداً على الأربعين من إخوانه الذين انطلق بهم ، وعددٍ آخر لا يتجاوز العشرين ، انضم إليهم لاحقاً . وقد عـاهد هؤلاء أميـرهم على السير معه حتى النهاية . ثم سار عبد العزيز نحو الرياض في ٥ شوال ١٣١٩ هـ / ١٥ كانون الثاني « يناير » ١٩٠٢ م .

وفي ظهـر ذلـك اليـوم نـودي في الـريـاض أن الحكـم لعبد العزيز بن عبد الـرحمن بن فيصل بن آل سعـود ، وانتشر الخبـر بسرعة البرق بين سكان نجد .

ثم بدأ الأمير عبد العزيز ، على الفور ، ببناء سور جديد حول الـرياض ، ووجَّـه الدعـوة إلى والده الإمـام عبـد الـرحمن الفيصـل للحضـور إلى الريـاض ، وخـرج لاستقبـالـه على رأس خمسمـائـة فارس ، توغَّل بهم حتى الدهناء ، وقـدَّم لـه الطاعة والخضوع بصفته أميراً على البلاد .

وبعد دلك، دعا الإمام عبد الرحمن زعماء الرياض وشيوخها إلى اجتماع ، عُقد بعد صلاة الجمعة ، في باحة المسجد الكبير ، وأعلن أمـامهم تنازلـه عن جميع حقـوقه في الإمـارة إلى ولي عهـده الأمير عبد العزيز ، فألقى هذا الأخير خطبةً أكَّد فيها ، أنه سيكون المكافح القوي في سبيل عقيدة التوحيد. وبايعه الجميع أميراً على نجد وإماماً لها ، وقدَّم له والده سيف سعود الكبير ، وتخلّى عن قصر آل سعود ، واختـار لنفسه منـزل عجلان ، عـامـل ابن الـرشيد على الـرياض ، وانقطع إلى عزلته في هذا المنـزل ، لا يخرج منـه إلاَّ أيام الجمعـة للصلاة في المسجد ، أو لزيارة ولده الأمير عبد العزيز .

أمـا عبد العـزيز ، فكـان يزور والـده يوميـاً ويطلعـه على سير الأمور ، ويتزوَّد بنصائحه ، كمـا كان يستشيـر العلماء الـذين أقامـوا مجلساً لمساعدة أميرهم في الأمور المصيرية .

عبد العزيز في قلب المواجهات السياسية والعسكرية

كان لاسترداد الرياض، تأثير كبير على مجريات الأمور في شبـه

الجزيرة العربية ؛ ففد كان مطلقاً لصراع طويـل بين عبد العـزيز بن الرشيد وعبد العزيز آل سعود أسفـر عن نتائـج عملية على الأرض ، تجلت بمزيد من المكاسب والتوسـع لصالـح الأمير عبـد العزيـز آل سعود .

فبعـد مواجهـات متواصلة ، ومنـازلات ، وعمليات كـرٍّ وفر ، ومنـاورات عدَّة ، على امتـداد الأرض النجـديـة ، شمـالاً وجنـوبـاً ، شرقاً وغرباً ووسطاً ، استطاع عبد العزيز آل سعود بمهارته وصلابته ، السيطرة تباعاً على معظم مناطق نجد ، بدءاً بالعـريض ، والخرج ، والحوطة ، والدواسر ، وانتهاءً بالقصيم قلب هذه المنطقة . فاضطر ابن الرشيد للإنكفاء نحو حائـل ، رغم القوة التي كـان يتمتع بهـا ، والـدعم الذي كـان يلقاه من قبـائل مـطير ، والعـجمـان ، والقبائـل الشمـرية ، وبعض أمـراء آل سعود المقيمين في حـائل ، منـذ أمـدٍ طـويل ، كسعـود بن عبد العـزيز ، وسعـود بن محمد ، وفيصـل بن سعد . وإضافة إلى ذلك ، فقد ساهم عبد العزيز في فك الحصار عن الكويت ، تلبيةً لطلب أميرها ، فأنجده بعشرة آلاف مقاتل ، جعلت ابن الرشيد ينكفىء فوراً إلى حائل .

معركـة البـكيريـة :

لم يسكت ابن الرشيد عن الهزائم المتلاحقة التي تعرَّض لها ، ولجأ إلى الدولة العثمانية طالباً العون على ابن سعود ، فلبى السلطان العثمـاني طلبـه بسـرعـة ، بعـدمـا شـاهـد امبـراطـوريتـه تتـداعى ،

والإنكليز يقضمون أطراف الجزيرة العربية من خلال معاهدات « الحماية والصداقة » ، ورأى أن من مصلحته التدخل في نجد ، ودعم ابن الرشيد ، لخلق نوع من التوازن بينه وبين ابن سعود ، باحتلال منطقة القصيم ، فيحول بذلك دون انتشار المذهب الوهابي ، ويمنع ابن الرشيد من الاسترسال في مشاريعه الرامية لاحتلال كل جزيرة العرب .

وبالفعل ، وقبل مضي شهرٍ واحد على معركة القصيم ، أرسلت الدولة العثمانية قوة مؤلفة من ثمانية أفواج مجهزة بمدافع ميدان ، بقيادة أحمد فيضي باشا ، الخبير بحروب الصحراء ، واعتمدت على الجمال التي صادرها ابن الرشيد لنقل معدّاتها . فافتُتِحَ بذلك فصل جديد من المواجهات والهجمات المتبادلة في منطقة القصيم ، بين الأمير عبد العزيز آل سعود والقبائل المتحالفة معه من جهة ، وقوات الأمير عبد العزيز بن الرشيد والمتحالفين معه من جهة ثانية . وكانت نتيجة المرحلة الأولى في هذا النزاع ، تراجع عبد العزيز آل سعود عن عنيزة ، وبريدة ، وانكفأ إلى شرقي نجد ، بعد إصابته بجروح مختلفة .

لكن تحولاً حصل لمصلحة الأمير عبد العزيز آل سعود في القصيم ، إذ أغار أهل هذه المنطقة على قوات ابن الرشيد ، وأبادوا كتيبة عثمانية مجهزة بالمدفعية ، وسيطروا على بريدة وعنيزة ، فدخل عبد العزيز آل سعود المنطقة على رأس قوة كبيرة ، وزحف باتجاه

البكيرية ، المركز العام لجيش ابن الرشيد ، واستفاد من ضعف جذوة الحماس لدى القوات الشمرية التي ضاقت ذرعاً بالحروب المتواصلة التي صرفتها عن أعمالها وأشغالها الزراعية ، وانسحب معظمها إلى مضارب شمر ، فتمكن من احتلال هذا المركز الهام . وتلى ذلك مرحلة من الكرّ والفرّ ، أدت إلى تسرب التذمر والشكوى إلى صفوف أهل نجد ، وانصرف الكثير منهم عن عبد العزيز .

حاول عبد العزيز دعوة ابن الرشيد إلى الصلح لكنه أبى واستكبر مستنداً إلى القوة العثمانية التي تدعمه ، فأصرَّ على ضرب بريدة وغيرها في القصيم ، مما جعل عبد العزيز آل سعود يأخذ خيار المواجهة بما بقي عنده من قوات ، وبادر إلى الهجوم الذي تحول إلى سلسلة مواجهات عنيفة وشرسة ، اختتمت بمعركة عنيفة بوادي الرمَّة ، انتهت بهزيمة الجنود الأتراك ، وهروب ابن الرشيد ورجاله تاركين أموالهم ومواشيهم وسلاحهم وذخيرتهم وبعض صناديق الذهب ، التي وزَّعها عبد العزيز على رجاله ، دون أن يأخذ منها شيئاً . وكان ذلك في ١٨ رجب ١٣٢٢ هـ / ٢٩ أيلول « سبتمبر » ١٩٠٤ م .

المواجهات مستمرة ومصرع ابن الرشيد

إثر وقعة البكيرية ، سارعت بريطانيا وتركيا إلى إظهار رغبتهما

بالتفاوض مع عبد العزيز بن سعود ، الذي كان عليه أن يواجه المناورات السياسية لهاتين الدولتين ، إضافة إلى التحركات المريبة للشيخ مبارك الصباح ، المتمثلة بمناوراته ومواقفه المزدوجة التي مارسها في تلك الفترة ؛ لقد خشي هذا الأخير أن تتمّ المفاوضات الموعودة بمعزل عنه ، وسعى إلى إفشالها ، فكتب إلى الأمير عبد العزيز يوصيه بأن يكون متشدِّداً في مفاوضاته مع البريطانيين ، وأن لا يُمكّنهم من أي أمر ، على أن تجري المفاوضات عنده في الصبحية ، فعمل عبد العزيز بمضمون الكتاب ، وأحال البريطانيين على الشيخ مبارك الصباح لينوب عنه في هذه المفاوضات . ولم يكتفِ الشيخ مبارك بذلك بل أرسل كتاباً ثانياً إلى الأمير عبد العزيز يحثّه فيه على اتخاذ موقفٍ سلبي من العثمانيين . عندها اكتشف الأمير عبد العزيزحقيقة نوايا الشيخ مبارك ، وتظاهر أمام ابنه جابر المبارك ، الذي كان حاضراً الاجتماع ، بالتزامه بكتاب والده ، وتعرَّض للوفد العثماني بكلماتٍ قاسية ، استمدَّها مما تضمّنه الكتاب ، وأحال الوفد على الشيخ مبارك ، الذي ما إن سمع بالنبأ حتى أحسَّ بنشوة النصر لفشل هذه المفاوضات .

أيقن الأمير عبد العزيز أن عليه الاعتماد على قدراته الذاتية لتحقيق أهدافه ، فاجتمع سرّاً مع العثمانيين ، وأطلعهم على حقيقة كتاب الشيخ مبارك ، وأعلن موافقته على موالاتهم ، على أن يكون القصيم على الحياد ، وأن تكون كل من عنبرة ، وبريدة ، مركزاً

للحاميات التركية ، شريطة دعم العثمانيين له بالمال والسلاح .

أقرَّ السلطان العثماني النتيجة التي توصَّل إليها ممثل الدولة العثمانية في الاجتماع مع عبد العزيز ، وقدَّم له الوسام العثماني الأول . ثم ما لبث أن ظهرت نتائج اتفاق الصبحية إلى العلن ، فشعر أمير الكويت بالخيبة والإحراج ، فحاول تبرير موقفه أمام ابن سعود الذي كان يدعوه دائماً « ولدي عبد العزيز » ، وانتهت الأمور بينهما بهدوء .

بعد ذلك ، أوفدت الدولة العثمانية الفريق صدقي باشا للعمل إلى جانب المارشال أحمد فيضي باشا في نجد ، تطبيقاً للإتفاق الذي تمَّ مع عبد العزيز . لكن العثمانيين فوجئوا برفض أهالي القصيم للحماية العثمانية ، ولم يقبلوا أن يؤخذوا بالقوة ، كما كان يرغب ابن الرشيد ، ثم سوِّيت الأمور بأن قدَّم أعيان القصيم طلباً بحماية الدولة العثمانية .

والذي جرى لاحقاً ، أن الظروف العامة التي كانت تعاني منها السلطنة العثمانية ، هذا « الرجل المريض » ، جعلت الفوضى تدبّ في مختلف أنحائها ، وترك ذلك أثره واضحاً على القوات التركية الموجودة في القصيم ، فلم تَعُدْ تحصل على قوتها الضروري ، مما اضطرها إلى بيع أسلحتها لتأمين الغذاء . عندها طلبت الدولة العثمانية من ابن سعود العمل على تأمين الغذاء لهذه القوات مقابل ثمنه ، فاعتذر عن ذلك بلباقة .

ثم إن الثورة التي قامت في اليمن بقيادة يحيى حميد الدين ومحاصرته الأتراك الموجودين في صنعاء ، دفعت بالدولة العثمانية إلى تكليف الفريق أحمد فيضي باشا للذهاب على رأس قوة إلى هناك ، تاركاً القوات العثمانية في نجد بقيادة صدقي باشا ، وهي على تلك الحال المحزنة ، فانسحبت قبل انتهاء عام ١٩٠٥ م تاركة عبد العزيز آل سعود وخصمه عبد العزيز بن الرشيد وجهاً لوجه .

إزاء هذا التطور الحاصل ، بدأت مرحلة جديدة من المواجهة بين الرجلين ، حاول خلالها أمير الكويت استغلال الفرصة المناسبة، فأظهر لكل منهما تأييده له ونقمته على الآخر، لتأجيج الصراع ، وإضعاف الفريقين في آنٍ معاً . حتى أن كثرة ألاعيبه أدت بكاتبه إلى وضع رسالته إلى عبد العزيز آل سعود في المغلف الخاص باسم ابن الرشيد والعكس بالعكس .

وبينما كان الإمام عبد العزيز بن سعود يتحرك على رأس مجموعة من جيشه إلى قطر لنجدة الشيخ قاسم آل ثاني في مواجهة أحمد بن ثاني ، اتجه ابن الرشيد إلى القصيم ، وداهم الرس وقمع بقسوة محاولة أهل القصيم ، الدفاع عن منطقتهم ، وأخذ يجول مغيراً على القبائل السعودية ، متنقلاً من منطقة إلى أخرى . أما ابن سعود فبعد أن أنجز مهمته في دعم أمير قطر ضد قبائل العجمان ، عاد مسرعاً إلى نجد ، واستقبل في الرياض أحد زعماء القصيم ، صالح الحسن ، الذي جاء لاسترضاء الإمام . ثم باشر على الفور

باستنفار القبائل المؤيدة له ، لا سيما عتيبة ، ومطر ، برئاسة فيصل الدويش ، إلى أن تمكن من تأليف جيش قوي اتجه به نحو القصيم . وفي هذه الفترة اكتشف أن صالح الحسن يعمل لصالح ابن الرشيد ، كما اكتشف أن مبارك الصباح ، وقَّع صلحاً مع ابن الرشيد ، وأنه هو الذي أوعز إلى صالح الحسن يحرضه ضد الإمام .

وبدأت سلسلة من الاحتكاكات بين الفريقين ، إلى أن كانت المعركة الفاصلة في **روضة مهنا** ، ٨ صفر ١٣٢٤ هـ / ١٤ نيسان ١٩٠٦ م . التي انتهت بهزيمة عبد العزيز بن الرشيد ، ومقتله على يد حرس الإمام عبد العزيز آل سعود ، بطريق الصدفة ، فيما كان يتفقد ليلاً مواقع قواته الأمامية . ثم اتجه الإمام عبد العزيز إلى بريدة بإلحاح من أهلها ، واتخذ قراراً بعزل صالح الحسن ، وعيَّن مكانه ابن عمه محمد عبد الله أبا الخيل .

وبمصرع ابن الرشيد ، ختم الفصل الأهم ، من دور أسرة الرشيد ، وتسلَّم الإمارة مكانه ولده متعب الذي اتجه نحو السلم والهدوء ، فتفاوض مع الإمام عبد العزيز على أن تكون حائل وملحقاتها وشمر لابن الرشيد ، وباقي بلاد نجد ، بما فيها القصيم ، لابن سعود .

لكن البنية العشائرية التي يقوم عليها الواقع في شبه الجزيرة العربية ، جعل من المتعذَّر على عبد العزيز أن يرتاح ؛ ففيما كان في الرياض بلغه أن الأتراك في أطراف القصيم يحاولون استمالة بعض

العشائر بمعاونة فيصل الدويش ، وأن متعب الرشيد الذي عقد معه صلحاً ، يفاوض الأتراك لإرسال بعض قواتهم إلى حائل تعزيزاً لقدراته العسكرية ، فتأكد له بعد كل تلك النزاعات التي جرت ، أن رابطة الإخلاص والولاء التي تربط بين أفراد الشعب وزعيمهم لا تزال مفقودة ، بسبب فقدان الشعور القومي الواحد الذي يخلق هذه الرابطة ويقوِّيها ، فرأى أن لا بدّ من استئصال الفوضى القائمة بوضع حدٍّ للقتال المستمر بين القبائل ، بحيث يعود للأمير وحده الحكم والبتّ بالنزاعات فيما بينها ، وحماية ممتلكاتها ، وصون حقوقها ، بما يؤدي تدريجياً إلى بناء الدولة . وكان عليه ، قبل ذلك ، مواجهة الموقف المستجد مع الأتراك ، بعد مغادرتهم المنطقة . فقد أرسلت الدولة العثمانية الجنرال سامي باشا الفاروقي من المدينة المنورة إلى حائل لمفاوضة ابن الرشيد الذي اتفق معه على أن يكون إقليم القصيم تحت نفوذ الدولة العثمانية ، ثم اجتمع الفاروقي لهذا الغرض مع عبد العزيز آل سعود الذي رفض بقوةٍ مطلب العثمانيين ، معتبراً أن القصيم تابع لسلطته ، وأن أهله يرفضون أي حلّ آخر .

تمسَّك كل من الطرفين بموقفه ، وتوتّر الوضع بينهما ، فحاول العثمانيون استمالة الإمام عبد العزيز ، وأظهروا استعدادهم لتقديم مساعدات مالية كبيرة له ، إذا اعترف بسيادتهم على إقليم القصيم ، لكنه رفض كلياً هذا العرض ، وطلب من سامي باشا أن يسحب قواته

من المنطقة تحت طائلة التصدي لها . وبعدما لاحظ الإمام عبد العزيز إصرار ابن الرشيد على استقدام الجنود الأتراك إلى حائل ، جهَّز حملة من أهل القصيم ، واتجه بها نحو البكيرية ، ووجَّه تحذيراً نهائياً إلى الأتراك بضرورة الإقلاع عن هذه المخططات، وقدم، في الوقت نفسه ، عرضاً بتسهيل رحيل الجنود العثمانيين ، الذين كانوا يرغبون بذلك ، بعد تردي الأوضاع والظروف التي كانت تحيط بهم من جميع النواحي ، مما جعلهم يضغطون على سامي باشا لإعادتهم إلى بلادهم . وانتهى الأمر برحيل قسم من هذه القوات إلى العراق ، وقسم آخر إلى المدينة المنورة .

عبد العزيز يصمد أمام التحديات المتعددة الجوانب

سمح مقتل ابن الرشيد ، ورحيل الأتراك ، لعبد العزيز أن يلتقط أنفاسه بعض الوقت ، فشرع ببناء دولته ، بالعمل على إخضاع القبائل لحكمه . لكن العادات المتأصلة في هذه القبائل ، التي تعتبر الغزو والجهاد حقاً مقدساً توارثه الأبناء عن الآباء ، جعلت عبد العزيز على موعد مستمر مع المواجهة واستعمال القوة ضد القبائل ، إضافة إلى سعيه الحثيث لتغيير الوضع القبلي والعشائري القائم .

وكان على عبد العزيز أن يواجه جملة من المتاعب ، أبرزها ما يلي :

ـ تحرك فيصل الدويش زعيم قبائل مطير ، الذي تمكن من استمالة أمير بريدة محمد أبي الخيل ، فسارع هذا الأخير إلى التمرد على الإمام عبد العزيز ، ثم ما لبثت عدوى التمرد أن شملت كافة أنحاء القصيم .

ـ تولى سلطان بن حمود الرشيد الحكم في حائل ، بعد تآمره مع شقيقه فيصل وسعود الرشيد على أبناء عمه: متعب أمير حائل ، وشقيقيه مشعل ومحمد ، وقتلهم غدراً ، ومبادرة سلطان المذكور إلى تحريض زعماء نجد والقصيم على الأمير عبد العزيز آل سعود ، وإخلاله بشروط الصلح الذي كان قائماً مع متعب بن الرشيد المغدور ، وذلك في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م .

ـ تمرّد بعض قبائل الجنوب سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م .

ـ تحريض الشيخ مبارك الصباح لابن الرشيد بعدما هاله ما آل إليه وضع الإمام عبد العزيز ، وحضه بعض زعماء القصيم للتحالف مجدَّداً مع ابن الرشيد لمواجهة عبد العزيز آل سعود .

ـ اغتيال سلطان الرشيد على يد أخيه سعود ، وتولي هذا الأخير الإمارة ثم مقتل سعود على يد ابن سبهان ، خال متعب بن الرشيد ، وتولية ابن شقيقته سعود بن عبد العزيز الرشيد ، مما جعل علاقة

عبد العزيز مع هذه الأسرة في حائل في حال تبدل دائم .

- مواجهة الحالة الناجمة عن نشوب فتنة ، في الحريق ، بين آل سعود البعيدين ، والمعروفة بفتنة الهزازنة .

- خروج آل سعود الأقربين (العرايف) ، مرة جديدة ، عن طاعة الأمير عبد العزيز .

- مشكلة عشائر العجمان التي أغارت على الكويت ، وما سببه تأديب الإمام لها من توتر في العلاقة مع أمير الكويت مبارك الصباح .

انتهت المواجهات المتواصلة التي خاضها الأمير عبد العزيز ، في إطار معالجة الحالات التي أشرنا إليها ، إلى تعزيز وضعه ؛ فقضى على تمرّد فيصل الدويش في القصيم ، وفتنة الهزازنة والعرايف ، وتمكن من التصدي لمحاولات ابن الرشيد لإثارة المتاعب في منطقة القصيم ، كما عمل على معالجة الإشكالات القائمة بين قبائل العجمان وأمير الكويت الذي حرص عبد العزيز على استمرار صلاته التقليدية به ، وساعده في مواجهة أحمد زعماء عشائر العراق سعدون باشا ، الذي جهّز حملة من العشائر لمهاجمة الكويت بتحريض من الحكومة العثمانية الاتحادية ، التي تصدت للحركات والأحزاب التحررية العربية ، المناوئة للحركة الطورانية . ومن هذه الأحزاب : حزب الائتلاف الذي أسس له طالب النقيب فرعاً في البصرة ، وانضم إليه مبارك الصباح ، وصاحب

المحمرة الشيخ خزعل . ورغم أنه كان للأمير عبد العزيز آل سعود موقفاً معارضاً للوجهة التي أخذتها الحركات التحررية العربية ، خصوصاً لجهة تحالفها مع الفرنسيين والبريطانيين ضد السلطنة العثمانية ، فإن صلاته التقليدية بأمير الكويت جعلته يُقدم على نجدته في حربه ضد قبائل السعدون التي انتهت بهزيمة القوات الكويتية .

الشريف حسين في الحجاز ومزيد من المتاعب أمام عبد العزيز

فيما كان عبد العزيز منهمكاً في التصدي للمعارضة التي تزعَّمها أقاربُه من « العرايف » ، برز عام ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م ، عامل مهم في شبه الجزيرة العربية ، زاد من حجم الأعباء التي بات عليه تحملها ؛ فقد ظهر على الساحة رجل كبير أخذ يلعب دوراً مهماً على المستويين المحلي والإقليمي ، هو الشريف حسين بن علي ، شريف مكة ، الذي كان لأسرته حق السيادة على مكة المكرمة ، منذ القرن السادس عشر . وكان السلطان العثماني قد خلعه من هذا المنصب ، وفرض عليه الإقامة الجبرية ، لمدة خمس عشرة سنة في إستانبول ، هو وأولاده الأربعة : علي ، عبد الله ، فيصل ، وزيد ، لما ظهر عليه من طموح ونزوع نحو الاستقلال ، ثم أعاده حزب الاتحاد والترقي بعد توليه السلطة ، بقصد كسب ود العرب ، وتأييدهم للنظام الجديد .

وأول عمل قام به الشريف حسين لتدعيم مركزه، هو إخضاع الثورة الإدريسية التي قامت في عسير ضد الدولة العثمانية التي كانت منهمكة في مواجهة الاحتلال الإيطالي لليبيا ، وإعادة هذا الإقليم إلى سيطرتها ، مما جعله يحتفظ بأفضل العلاقات الودية مع الاتحاديين .

إن الموقع الذي كان عليه الشريف حسين ، جعله يسعى لتعزيز قوته تحقيقاً لطموحاته في السيطرة على كل مواقع النفوذ الأخرى في شبه الجزيرة العربية . ورأى في عبد العزيز آل سعود مصدر خطر على خططه وشمولية سيطرته ، فأخذ يعمل بشتى الطرق والوسائل لإضعافه . وبدأ بين الرجلين صراع طويل لم ينتهِ إلاَّ بعد حسم الأمر في نجد ، والاحساء ، والحجاز ، وعسير ، لصالح عبد العزيز آل سعود .

وفي أواخر سنة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م ، أعلن الشريف حسين ضم منطقة عتيبة إلى سلطته ، مدعوماً من الدولة العثمانية التي فضَّلته على ابن الرشيد . وهذه المنطقة تفصل بين نجد والحجاز ، ومنها ينطلق الطريقان الرئيسيان اللذان يربطان أواسط جزيرة العرب بمكة المكرمة ، وتعتبر مفتاحاً للحجاز ، ومنفذاً إلى نجد ، وقد كانت حتى ذلك التاريخ في متناول آل سعود .

وازدادت متاعب الإمام عبد العزيز عندما أسرت مجموعةٌ من

رجال عتيبة أخاه الأمير سعد الذي كان قد أوفده إلى قبائل عتيبة ليحثها على تقديم الدعم المادي والبشري له ، وسلَّمته إلى الأمير عبد الله بن الحسين . فثارت ثائرة عبد العزيز لدى سماعه النبأ ، وجهَّز حملة لاحتلال أراضي العتيبان وتأديبها ، والعمل على إنقاذ أخيه الذي لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره . لكن صعوبات بالغة واجهته ، عندما تحرك سعود العرايف مرة أخرى في منطقة جبل طويف ، داعياً للثورة عليه ، وتمكَّن من السيطرة على الحريق ، وامتدت الثورة إلى جنوبي نجد . وفيما كان عبد العزيز يعد العدَّة لمواجهة هذا الوضع ، حصل تنسيق بين الشريف حسين وزامل السبهان ، وكيل إمارة حائل ، وخال ابن الرشيد ، فلم يعد للأمير عبد العزيز من خيار سوى التفاهم مع الشريف حسين ، خصوصاً وأن هذا الأخير حذَّره من أن أي هجوم يقوم به سيؤدي إلى عدم إطلاق أخيه ، المعتقل لديه ، كما أن الدولة العثمانية دخلت مجدداً على الخط لتثبيت دعائم سلطتها في إقليم القصيم .

ساعد على الحوار بين الأمير عبد العزيز والشريف حسين خالد بن لؤي ، أحد أشراف الحجاز الذي اعتنق هو وأهله المذهب الوهابي ، رغم أنه كان أميراً على خرمة التي تتبع لسلطة الشريف حسين . وقد نجح خالد بن لؤي في إقناع عبد العزيز بالموافقة على الشروط التي فرضها العثمانيون على الشريف حسين لعقد الصلح بين الطرفين . واقتضى ، بموجب هذه الشروط ، أن يدفع عبد العزيز

ستة آلاف مجيدة سنوياً للدولة العثمانية ، وأن يعترف بسيادتها الاسمية على إقليم القصيم . وبذلك ، عاد الأمير سعد إلى أخيه بعد أن افتداه بمبلغ من المال . وكان الأمر الإيجابي الآخر في هذا الاتفاق هو تعهد خالد بن لؤي للأمير عبد العزيز ، بأن يكون إلى جانبه إذا اعتدى شريف مكة عليه .

نتيجة لهذا التطور في العلاقات بين الشريف حسين والأمير عبد العزيز ، تمكن هذا الأخير من إنهاء التمرد الذي تزعمه أقرباؤه من « العرايف » والهزازنة ، فجمع قوة من الحضر ، واتجه نحو الحريف واستردها ، فالتجأ المتمردون إلى الافلاج وقاعدته ليلا حيث تمكن الأمير أحمد السدري من أسر سعود بن عبد الله ، وعبد العزيز الهزان ، ومعهم ثلاثون رجلاً . ثم حاصر الإمام عبد العزيز بلدة الحوطة التي تحصَّن فيها العرايفة ، وأعطاهم الأمان ، فاستسلموا وصفح عنهم ، ثم اتجه إلى بلدة ليلا الحصينة . فاستسلمت دون مقاومة ، بعد وصول أخبار الانتصارات الباهرة التي حققها عبد العزيز .

إثر ذلك ، قرَّر عبد العزيز آل سعود التعامل بحزم مع المعتقلين من قادة المتمردين . فباستثناء سعود بن عبد الله (العرافة) الذي أطلق سراحه ، واختار التعامل مع الأمير عبد العزيز ، وراشد الهزاني الذي عفا عنه لحرمة قديمة بينهما ، أقدم الأمير عبد العزيز على إعدام زعماء الثورة الثمانية عشر بحضور سكان المناطق التي كانت

الثورة مسرحاً لها ، فكان لذلك أثر بالغ في تدعيم سلطته . وقد تمكن بعض أقربائه (العرايف) من الوصول إلى مكة والالتجاء إلى الشريف حسين ما عدا واحد منهم سار إلى الاحساء لاستنهاض البادية .

عبد العزيز يسيطر على الإحساء

كان الأمير عبد العزيز ، من الجد وقوة الإرادة والحزم والعزم وأصالة الرأي وحسن التفكير ، ما جعله يقوى على العقبات التي صادفته في طريق إنشاء دولته ، مستفيداً من الظروف المضطربة التي مرت بها الدولة العثمانية .

وبعد حوادث « ليلا » ، قاعدة الافلاج التي مرَّ ذكرها ، بدأ عبد العزيز يهتم بما يجري حوله ، خصوصاً علاقته بالدولة العثمانية ، وشريف مكة الحسين بن علي الذي كان قد صالحه ، لكنه ما أن خرج من المواجهة الأخيرة حتى واجهته سلسلة تحديات ومتاعب كان أبرزها ما يلي :

- إعلان قبائل الدواسر والعجمان في الإحساء ، العصيان عليه فأدَّبها .

- تحرك أحد السعوديين (العرايف) الذي ذهب إلى الاحساء ، لتأليب القبائل عليه .

ـ الدسائس التي كان يُحيكها ضده مبارك الصباح ، حاكم الكويت .

ـ استنجاد الأتراك به لمحاربة الإدريسي في عسير عام ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م ، بسبب رفضه مناصرة الدولة العثمانية ، ووضع قوة من رجاله في الإحساء لحمايتها بناءً على طلب العثمانيين أنفسهم .

ـ مواجهة الوضع المستجد الناتج عن موقف الأمراء والحكام العرب من الصراع بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية ، وتشديد حكومة الاتحاديين في مواجهة مطالبة الولايات العربية بالاستقلال. وقد أوضح عبد العزيز موقفه من هذه المسألة في رسالة بعث بها إلى سليمان باشا ، حاكم عسير العسكري ، داعياً إلى عقد مؤتمر للزعماء العرب في بلد لا يكون تحت السيطرة العثمانية .

ـ تحريض الشريف حسين لقبائل عتيبة ومده للظفير بالسلاح لمناوئة عبد العزيز بقيادة راشد الهزاني .

ولمواجهة كل هذه الأمور بذل الأمير عبد العزيز آل سعود جهوداً كبيرة مكنته من تجهيز جيش كبير ، اتجه به نحو الإحساء التي كانت تحت السيطرة العثمانية . حاول الإمام عبد العزيز ، في البدء ، تضليل العثمانيين ، فأخفى الهدف الحقيقي من تحركه في المنطقة ، وبادر فوراً إلى دفع قبائل العجمان، الذين يطمعون

بالإحساء ، نحو الشمال لمواجهة قبائل مطير التي تحالفت مع ابن السعدون ضد عبد العزيز آل سعود . بعد ذلك اتجه الأمير عبد العزيز نحو الهفوف عاصمة الإحساء . ثم فاجأ رجال الحامية التركية في الكويت ، ليل الخامس من شهر جمادى الأول ١٣٢١ هـ / ١٣ نيسان ١٩١٣ م ، واستطاع السيطرة عليها وعلى القلعة والحصون التي كان يحتمي الأتراك بداخلها ، وانتهى الأمر باستسلام هؤلاء وترحيلهم إلى العقير ، ثم إلى البحرين ، حيث غادروها إلى البصرة ، ثم استسلمت الحامية التركية في القطيف وعيَّن عبد الرحمن بن سويلم أميراً عليها .

بعد هذه الانتصارات غادر الأمير عبد العزيز إلى الرياض ، بعد أن نصَّب ابن عمه وصديقه عبد الله بن جلوي أميراً على الإحساء .

على طريق التحول من البداوة إلى الحضارة

في هذه المرحلة من تاريخ نجد ، رأى عبد العزيز آل سعود أن لا بد من إحداث تحولات في عادات العشائر وتصرفاتها ، وذلك على طريق الوصول إلى الاستقرار والانتظام في حياة الناس ومعيشتهم وعلاقاتهم مع بعضهم البعض ، بما يؤدي في نهاية الأمر إلى إقامة سلطة واحدة تبتّ بالنزاعات القائمة ويكون الولاء لها وحدها .

ولتحقيق هذا الهدف عمل الأمير عبد العزيز باتجاهين اثنين :

أولاً ـ البدء بتحضير العشائر لجهة :

ـ الإقلاع عن العادات الموروثة في الغزو والكسب عن طريق السلب .

ـ الاستقرار في أماكن معينة عن طريق توزيع أراضي منطقة الأرطاوية على العشائر ، وفي مقدمتها مطير .

ـ تدريبهم على الأعمال الزراعية .

ـ تنظيم عملية توزيع المياه .

ـ تسليمهم البنادق والعتاد .

ـ تكاثر عدد القرى التي أُسميت « الهجر » وهي خليط من الفلاحين والقبائل المختلفة التي يجمعها رابط الدين والتوحيد والكتاب ، وقد انصرف رجالها إلى الصلاة وغالوا في ذلك . فأصدر الإمام عبد العزيز فتواه الشهيرة : « مؤمناً غنياً خير من مؤمن فقير » . ثم قامت « الهجر » في أماكن مختلفة من البلاد ، بعدما أغدق عبد العزيز المساعدات المالية لتشجيع البناء ، مما جعل القبائل تبيع مواشيها وخيم الشعر التي تملكها .

وبانضمام فيصل الدويش إلى هذه الحياة القروية ولّاه الأمير عبد العزيز الأرطاوية .

ثانياً ـ تأسيس فرق « الإخوان » ، وذلك بغرض :

ـ نشر العلم والمعرفة ، وتعليم فرائض الدين ، وأحكام

الشريعة ، على أساس المذهب الحنبلي ، بواسطة مرشدين ، بتوجيهٍ من شيخ نجد عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الذي وجَّه كتاباً إلى القبائل يحدِّد فيه ، بطريقة بسيطة وواضحة ، واجباتهم الدينية . وقد نتج عن ذلك أن تأسست فرق الإخوان وتوسعت .

وأدَّى هذا التوجه إلى الالتزام بالحلال والحرام ، ومن ثمَّ إلى انتشار الطمأنينة والعدل ، خصوصاً بعد تحريم سفك الدماء ، إثر الحروب المستمرة التي دارت بين آل سعود وآل الرشيد .

كما نتج عن ذلك تطور اجتماعي وصحي ، تجلى بالحرص على الاستحمام والنظافة والطهارة .

وفي إطار الدعوة للالتزام بالأصول الدينية ، وجَّه العلماء بياناً إلى الشعب من أهل « الهجر » لمعالجة الشبهة التي تلبس على الناس أمر دينهم ومواجهة المغالاة في الدين التي ليس لها أي أساس شرعي ، وإبطال الأمور المخالفة للشريعة ، ولم يأمر الله تعالى بها .

ثم وجَّه الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، بياناً إلى « الإخوان » أشار فيه إلى الانحراف عن الدين وشريعة سيد المرسلين ، وارتكاب الأمور التي تغضب الله ورسوله ﷺ ؛ من استحلال الدماء ، ونهب الأموال ، وترك فرائض الإسلام ، مؤكداً على ضرورة الالتزام بمضمون التوحيد الذي هو أصل الأصول

للدين ، محذراً من البِدَع ، ومن تمسُّك الناس بأمور الدين حسب رأيهم ، بل عليهم أن يتبعوا ويقاربوا ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ **ما أتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ وقوله أيضاً : ﴿ **اسألوا أهل الذكر منكم إن كنتم لا تعلمون** ﴾ . وحذّر الإمام عبد العزيز من مخالفة هذه القواعد قولاً وفعلاً ، وذلك تحت طائلة المسؤولية والعقاب .

وكان لهذا النداء الخطير ، أثر كبير في نفوس الرعية ، لجهة التقيد بالمبادىء والتوجيهات التي تضمّنها ، والتأثير على سلوكية الناس وعاداتهم وتقاليدهم . فتبدَّلت العلاقات القائمة فيما بينهم بصورةٍ جذرية ، واستوحوا في تصرفاتهم القِيَم والمبادىء الإسلامية الصحيحة .

عبد العزيز أمام رياح الحرب العالمية الأولى وبداية الصراع مع الشريف حسين

كانت الظروف السياسيّة المحيطة بمنطقة نجد وراء خطة عبد العزيز باحتلال الإحساء ؛ فقد كان الشريف حسين يشكل تهديداً مستمراً له ، رغم الاتفاق الأخير الذي قام بينهما ، كما كان ابن الرشيد يتحين الفرص للتحرش بمنطقة القصيم ونجد مستنداً إلى تحالفه مع العثمانيين . وبين هذا وذاك كانت المتاعب الناتجة عن العلاقة التاريخية بين عبد العزيز ومبارك الصباح مستمرة ، مع

استمرار سياسة المناورات وإثارة التناقضات التي كان يفتعلها مبارك في وجه عبد العزيز ؛ علماً بأن هؤلاء الثلاثة كانوا يرون في ترسيخ سلطة عبد العزيز واستتباب الأمور في منطقة سيطرته ما لا يأتلف بشكل أو بآخر مع مصالحهم .

وعلى صعيد آخر ، كانت العلاقات المعقَّدة والملتبسة مع العثمانيين الإنكليز ، وتنازع السيطرة بين هذين الطرفين على شبه جزيرة العرب، والذي اتخذ أشكالاً من الصراع المستتر حيناً، من خلال الاستناد إلى تحالفات محلية (ابن الرشيد ، الشريف حسين ، مبارك الصباح ، إدريس) ، والمباشر أحياناً كما جرى سابقاً في الكويت ، التي خضعت للحماية الإنكليزية في ظل عجز الدولة العثمانية عن مواجهة ذلك ؛ لا بل اضطرارها للاعتراف بالسيادة الإنكليزية على هذه الإمارة ، خصوصاً بعدما توالت عليها الهزائم ، وفقدت معظم ممتلكاتها في أوروبا وشمال افريقيا .

لذلك ، سارع عبد العزيز إلى إعادة السيطرة السعودية على إقليم الاحساء المطل على الخليج الذي بدأ الاستعمار الإنكليزي يشكل تهديداً حقيقاً له .

لكن إنهاء مسألة الاحساء لم يضع حداً لمصاعب الأمير عبد العزيز في تلك الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ؛ فالتطور السريع للأحداث آنذاك كان يتطلب مهارة وقدرة فائقة على مواكبتها ومواجهتها في آنٍ معاً . وكان على عبد العزيز أن يتخذ

المواقف والقرارات المناسبة ، ويقيم العلاقات التي تتيح له المحافظة على دولته ، التي بدأت تنمو وتزدهر . وكان عليه أن يقف في وجه الرياح التي بدأت تهبّ من كل الجهات، وأن يتعامل مع المواقف المتغيِّرة للقوى المحلية والخارجية، كما كان عليه أن يخرج بدولته سالماً من رياح الحرب العالمية الأولى ، التي وقفت فيها ، وجهاً لوجه ، كل من بريطانيا والدولة العثمانية ، الدولتين المعنيتين مباشرة بشؤون المنطقة . فأقدم بعد احتلاله للاحساء على عقد معاهدة مع العثمانيين سنة ١٩١٣ م ، نصَّت على إلحاق هذه المنطقة بإمارة نجد واعتبارها ولاية عثمانية ، على أن يكون الإمام عبد العزيز والياً عليها وقائدها العام ، مع حقه بإنشاء جيشٍ يحفظ الأمن فيها .

إثر ذلك ، اشتد التنافس بين الإنكليز والعثمانيين على كسب ودٍّ أمراء المنطقة ، فتقرب العثمانيون من ابن الرشيد ، وقدموا له السلاح والدعم . واتفقوا معه على محاربة الإمام ، الذي لم يرتاحوا لمواقفه المستقلة عنهم . إلَّا أنهم اضطروا ، في فترة لاحقة ، إلى معاودة الاتصال بعبد العزيز ، كي يقف إلى جانبهم في الحرب . لكن عبد العزيز لم يقطع برأي ، مبرراً ذلك بعدم إمكانية مقاومة الإنكليز الذين احتلوا البصرة .

وكان العثمانيون قد بعثوا برسالتين إلى الشريف حسين بن

علي ، لإعلامه بدخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا ؛ الأولى من السلطان محمد رشاد ، تتضمن الفرمان بإعلان الجهاد المقدس للدفاع عن الإسلام، والثانية من جمال باشا، وتدعو الشريف إلى إرسال الراية النبوية من المدينة المنورة إلى دمشق لتخفق أمام الزحف العام على السويس ، كما تدعوه إلى تجنيد المجاهدين ، من قبائل الحجاز ، للمشاركة في « هذه الحرب المقدسة » .

ردّ الشريف حسين على رسالة جمال باشا ، مبدياً حماسه الشديد لإعلان الجهاد المقدس واستعداده للتضحية بكل شيء في « سبيل انتصار الدولة العلية » ، حين تسمح الظروف بذلك ، متذرعاً بأن الإنكليز يسيطرون على سواحل الخليج العربي والبحر الأحمر ، ويستطيعون في أية لحظة فرض حصار بحري على الحجاز . كما أعلمه بأنه سيرسل الراية النبوية إلى دمشق لتكون على رأس الجيش العثماني الزاحف إلى مصر .

بموازاة ذلك ، بدأ الإنكليز الاهتمام بمنطقة الاحساء وواليها الجديد عبد العزيز . وبعثوا برسول يدعى « شكسبير » إلى الرياض موفداً من المعتمد البريطاني في الخليج السير «برس كوكس» . وقد ذهل هذا الموفد لما رآه من تطور بارز على صعيد بناء الدولة وخاصة في نجد ، وقرر البقاء في الديار السعودية . كما بعث المعتمد البريطاني في القاهرة « اللورد كتشنر » يسأل الشريف حسين عن حقيقة موقفه في حال اشتراك تركيا في الحرب ضد الحلفاء. وأرفق

ذلك بوعد بمؤازرة العرب « في نيل حريتهم واستقلالهم » إذا ما وقفوا إلى جانب الإنكليز ، على أن يضمن الوعد « حقوق سيادة الشريف بالملك والعرش وحمايته ضد كل اعتداء على أن تعترف بريطانيا به في حال انتخابه خليفة للمسلمين » .

اتجه الشريف حسين للتحالف مع الإنكليز ، رغم تحفُّظ أنجاله علي وفيصل وزيد ، إلاَّ أنه تريث في إعلان موقفه حتى تسنح الفرصة المناسبة .

أما عبد العزيز آل سعود ، فقد رأى حيال هذه التطورات الخطيرة، أنه من الضروري التشاور مع الأمراء العرب الآخرين، فكتب إلى كل من الشريف حسين وابن الرشيد وإمام اليمن ومبارك الصباح ، يدعوهم للاجتماع ومناقشة الموقف الواجب اتخاذه من هذه الحرب ، صوناً لحقوق العرب ومصالحهم . لكن الاجتماع المقترح لم يتم ، باستثناء اللقاء الذي حصل بين الأمير عبد الله موفداً من والده ، مع موفد عبد العزيز من دون أن يتوصل إلى أية نتيجة .

عندها رأى عبد العزيز أن يتخذ موقفاً حيادياً بين العثمانيين والإنكليز ؛ ذلك أنه لم يطمئن إلى نوايا ابن الرشيد الذي كان يتحين الفرص باستمرار لمهاجمة الأراضي السعودية بتحريض من العثمانيين . فاستعد لمواجهته ، وجرت بين الطرفين معركة « جراب » في ٧ ربيع الأول ١٣٣٣ هـ / ٤ كانون الثاني ١٩١٥ م ،

التي لم تسفر عن نتيجة حاسمة لكلا الطرفين ، فتراجع ابن سعود إلى الرياض وابن الرشيد إلى حائل . وقد قتل في هذه المعركة الضابط الإنكليزي « شكسبير » الذي كان يقاتل مع قوات الأمير عبد العزيز آل سعود . وانتهى الأمر بمصالحة بين ابن سعود وابن الرشيد بناءً على طلب هذا الأخير .

ثم جاءته المتاعب مجدداً من أمير الكويت الشيخ مبارك الصباح الذي طلب من الأمير عبد العزيز تأديب قبائل العجمان لأنها أغارت على دياره ونهبت مواشي عشائره، فطاردهم حتى حدود قطر سيراً على الأقدام وتعرض في « كنزان » إلى خديعة عسكرية ، أدت إلى هزيمة قواته وتراجعها نحو الإحساء ، واستشهد في هذه المعركة أخوه الأمير سعد بن عبد الرحمن الفيصل . والملفت في الأمر ، أن الشيخ مبارك قد تقاعس عن نجدة الأمير عبد العزيز ، فتأكد للأمير عبد العزيز أن أمير الكويت يهدف إلى إضعافه ، ليتسنى له مد نفوذه إلى الأراضي السعودية وخصوصاً الاحساء ، فقرَّر بإلحاح من مؤيديه مواجهة العجمان وابن الصباح معاً ، لكنه فوجىء بوفاة هذا الأخير ، وتولي ابنه جابر بن مبارك الحكم في الكويت .

بعد هذه الأحداث المتلاحقة ، اتجه عبد العزيز إلى إقامة علاقات متينة مع بريطانيا ، تتيح له بعض الاستقرار . واجتمع لهذا الغرض مع ممثلها في الخليج « برسي كوكس » بناء لإلحاح هذا الأخير ، الذي كان يود معرفة موقف عبد العزيز من الحرب الدائرة .

وقد كان عبد العزيز صريحاً في مدى التزامه الذي لم يتعدَّ مضمونه الوقوف على الحياد ، رغم أن كوكس عرض عليه منصب الخلافة الإسلامية التي ستؤول إلى العرب بعد سقوط الدولة العثمانية ، فرفض عبد العزيز ذلك معتبراً أن الشريف حسين أولى منه بهذا الأمر .

لكن تزايد الضغوط والتهديدات من الأطراف الثلاثة : الشريف حسين ، وأمير الكويت وابن الرشيد ، وتوقيع معاهدة بين بريطانيا ومحمد علي الإدريسي ، وضع الإمام داخل طوق بريطانيا وحلفائها ، جعل التفاهم بين الأمير عبد العزيز آل سعود والحكومة البريطانية أمراً متيسراً ، فعقد بين الطرفين معاهدة « عقير » ، في ١٨ صفر سنة ١٣٣٤ هـ / ١٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٥ م . وقد لاقت هذه المعاهدة اعتراضاً عربياً واسعاً ، فعمد الأمير عبد العزيز إلى استبدالها بمعاهدة « جدة » .

وكان من نتائج هذه المعاهدة أن توسَّطت بريطانيا بين عبد العزيز آل سعود وابن الصباح في مسألة العجمان ، وتمَّ حل هذه المسألة ، وحلت على أثرها قضية « العرايف » الذين عاد أكثرهم إلى عبد العزيز بعدما تبين لهم أن أغراضاً سياسية خاصة كانت وراء مناصرة كل من العجمان والشريف حسين لهم .

كما كان من نتائجها أيضاً تحسُّن العلاقة ، إلى حد ما ، بين الأمير عبد العزيز والشريف حسين الذي سارع إلى قبول البنود

الخمسة للإتفاقية التي كانت موضع بحث سري بينه وبين السر مكماهون ، مندوب بريطانيا في القاهرة ، خشية تقدم ابن سعود عليه في الزعامة والنفوذ .

وكان الشريف حسين قبل الموافقة النهائية على هذه المعاهدة ، قد بعث ولده الثالث الأمير فيصل إلى دمشق ، حيث اجتمع إلى جمال باشا ، وتعهد له ، باسم والده ، بدعم الهجوم العثماني على العرب، كما اجتمع سراً إلى زعماء الحركة العربية وتفاهم معهم على الثورة ضد الأتراك . وبعد انكشاف أمر الجمعيات العربية السرية، قبض العثمانيون على عدد من زعمائها، وساقوهم إلى المحاكم العرفية في عاليه ، التي قضت بإعدام عدد منهم في بيروت ودمشق في آن واحد. ثم غادر فيصل دمشق إلى مكة حاملاً المقررات السرية للجمعيات المذكورة التي وضعت بعض الشروط والقيود للاتفاق مع الإنكليز .

وقد جعلت هذه التطورات الشريف حسين يوقع عام ١٣٣٤ هـ / كانون الثاني عام ١٩١٦ م ، على الاتفاقية المذكورة ، التي استُتبعت برسائل مكماهون ـ حسين المعروفة ، ابتداء من آذار ١٩١٦ م ، وتضمَّنت وعداً من الإنكليز بالمساعدة على استقلال العرب ، والاعتراف بالحسين خليفة للمسلمين ، عندما ينادي به المسلمون لهذا المنصب الرفيع . وهكذا أعلن الشريف

الثورة على الدولة العثمانية في ٩ شعبان عام ١٣٣٤ هـ / ٢ حزيران عام ١٩١٦ م .

ورغم توافق الشريف حسين بن علي والأمير عبد العزيز آل سعود على العمل ضد العثمانيين ، فإن شريف مكة لم يتخلَ عن نواياه السلبية إزاء عبد العزيز ، ولم يعدّل في خططه لإضعافه وإنهاء دوره على مسرح شبه الجزيرة العربية ، مما جعل الإمام عبد العزيز يكاشف الإنكليز بموقف الشريف ، فأكد مندوبهم « كوكس » ضمانة بريطانيا لاستقلال عبد العزيز ، لكنهم طالبوه بعدم محاربة حليفهم الشريف حسين ، فقبل بذلك شرط عدم تدخل هذا الأخير بأمور نجد وعدم التكلم باسم جميع العرب والادعاء بكونه ملكاً عليهم .

فيما كانت الاشكالات تدور بين الشريف حسين والأمير عبد العزيز اللذين لجآ إلى تحكيم الإنكليز في النزاع القائم بينهما ، كان هؤلاء ـ الذين وعدوا الحسين بإعطاء الاستقلال للبلاد العربية في دولة عربية موحدة ، وبالخلافة الإسلامية ـ يعقدون معاهدة سرية خطيرة مع فرنسا ، معاهدة سايكس ـ بيكو، لاقتسام البلاد العربية التابعة للدولة العثمانية، حصلت بموجبها فرنسا على سوريا ولبنان والقسم الشمالي من العراق امتداداً حتى جبال الأناضول ، وحصلت بريطانيا على جنوبي العراق مع آبار النفط في كركوك ، وشريطاً ممتداً حتى العقبة والحدود المصرية ، كما اتفقا على تدويل

فلسطين ، باستثناء ميناء حيفا الذي وُضع تحت الإشراف الإنكليزي .

لم تُطلع بريطانيا الشريف حسين بن علي على مضمون هذه الإتفاقية كما لم تطلع حليفتها فرنسا على مضمون الإتفاق الذي وقعته مع الشريف حسين . والفرق واضح بين كل من الإتفاقين . وقد بدا ذلك جلياً من خلال موقف هاتين الدولتين ، بعد إعلان الثورة العربية واستسلام الحامية العثمانية في مكة المكرمةوفي بقية المدن الحجازية الأخرى باستثناء المدينة المنورة التي صمدت الحامية التركية فيها حتى ١١ ربيع الثاني عام ١٣٣٧ هـ/ ١٥ يناير « كانون الثاني » ١٩١٩ م . فبعد انعقاد اجتماع مكة المكرمة بحضور عدد من رؤساء الدين وبعض رجال الحركة العربية في ٢ تشرين الثاني ١٩١٩ ، والمناداة بالحسين بن علي ملكاً على العرب ، استناداً إلى الاتفاق الذي تمَّ مع بريطانيا ، سارعت بريطانيا وفرنسا إلى إجراء مباحثات سرية ، نسفت الدولتان بنتيجتها مضمون هذا الاتفاق واكتفتا بالاعتراف بالحسين بن علي ملكاً على الحجاز فقط .

ورغم الشكوك التي انتابت الحسين حول هذا الموقف ، فإنه ظلَّ معتقداً بأن بريطانيا لن تخون وعودها التي قطعتها له ، والقاضية بجعله ملكاً على دولة عربية كبرى مستقلة .

لهذا السبب تصرف الشريف حسين على هذا الأساس ، في

علاقاته مع بقية الأمراء العرب ، وحاول حصر اتصالات هؤلاء الأمراء مع بريطانيا وغيرها ، من خلاله ، تأكيداً لسلطته عليهم . كذلك عمل على تعزيز قوته واتخاذ كافة الإجراءات التي تضمن له الغلبة في الجزيرة العربية ، خصوصاً بعد أن بدأت الحركة الوهابية ، بقيادة الإمام عبد العزيز آل سعود ، تدق أبواب الحجاز .

وفي تلك الفترة كانت الحرب الكبرى قد انتهت بانتصار الحلفاء على الألمان والترك ، وبسط سيطرتهم على سوريا وفلسطين ، وسقوط المدينة المنورة واستسلام الحامية التركية فيها ، مما أتاح للشريف حسين تعزيز سلطته في الحجاز والتفرغ لمعالجة التطورات المحلية . ففي ١٣ ربيع الثاني ١٣٣٧ هـ / ١٧ كانون الثاني ١٩١٩ م ، بعث ولده الأمير عبد الله بكتاب إلى الأمير عبد العزيز يوضح فيه نية والده بمعالجة أوضاع القبائل في المنطقة الواقعة بين نجد والحجاز ، وكان هذا الكتاب بداية الاحتكاك الفعلي بين الطرفين ، رغم استمرار تبادل الرسائل الودية بينهما .

معركة تَرْبَه والصراع المفتوح بين الأمير عبد العزيز والشريف حسين

ازداد الموقف تصعيداً ، بعد تحرك الأمير عبد الله بقواته نحو بلدتي تربه وخرمه اللتين تتمتعان بأهمية استراتيجية ، ويعتبر الشريف

سكانهما من رعاياه ، في حين ادعى السعوديون أن هؤلاء السكان من رعاياهم ، كونهم اعتنقوا العقيدة الوهابية .

اتصل الأمير عبد العزيز مراراً بالحكومة البريطانية ، لاطلاعها على تحركات الحسين ، فلم تأبه لهذا الأمر . عندها أخذ يعد العدَّة لمواجهة الخطر الداهم على مناطق سيطرته. وبعث إلى الأمير عبد الله يحذره من دخول المدينتين ، فردَّ هذا الأخير برسالة تنطوي على نوع من التهديد والتوعيد ، مدعياً أنه يؤدّب العصاة من رعاياه . وأرفق ذلك بهجوم على تربه في ٢٤ شعبان من عام ١٣٣٧ هـ / ٢٤ آذار ١٩١٩ م ، واستولى عليها . وأتبع ذلك برسالة تهديد إلى بعض رؤساء القبائل في تلك المنطقة ، ينذرهم بمثل ما حصل في تربه إذا لم يحضروا إليه طائعين . كما وجَّه إنذاراً باختراق نجد من حدٍ إلى خلال شهر واحد .

خلق هذا الوضع الخطير جواً مشحوناً بالتوتر والغضب في قوات الأمير عبد العزيز التي وصلت بقيادة ابن بجاد إلى موقع « القرنين » القريب من تربه ، وقرَّروا بحماسٍ بالغ ، الهجوم على قوات الأمير عبد الله المتمركزة في هذه البلدة .

وفي ٢٥ شعبان ١٣٣٧ هـ ، قامت القوات السعودية المؤلفة من ١٥٠٠ رجل ، بقيادة ابن بجاد وخالد بن لؤي بهجوم صاعق وبالسلاح الأبيض على قوات الأمير عبد الله وأبادتها عن آخرها ، رغم

أنها كانت محصنة بالمتاريس ومجهزة بالسلاح والمدفعية . ولم يسلم من هذه المعركة سوى الأمير عبد الله نفسه وبضعة عشر جندياً من قواته .

وإثر هذه المعركة التي لم يعلم بها عبد العزيز إلَّا بعد خمسة أيام من حصولها، ارتفعت أصوات في صفوف قواته تنادي بالمسير إلى الطائف . لكن الحكومة البريطانية اتصلت به ، عبر وكيلها في جدة ، تطلب منه عدم التقدم نحو هذه المدينة . وكان رد عبد العزيز بأنه سيستجيب للطلب إكراماً للشريف حسين ونزولاً عند رغبته .

تحديات جديدة وصمود

لاحظ الأمير عبد العزيز أن الإنكليز بعد انتصارهم ، تجاهلوا دوره ولم يأخذوا وجوده بعين الاعتبار في اجتماعات مؤتمر الصلح المنعقد في باريس عام ١٩١٩ م . فهم أعطوا الأولوية في علاقاتهم العربية للشريف حسين ، الذي كان ابنه الأمير فيصل قد دخل على رأس الجيش الهاشمي مع القوات البريطانية إلى دمشق .

واستطاع عبد العزيز أن يصمد في وجه هذا الواقع المعاكس لتطلعاته ، وعمل على تعزيز قدراته الذاتية تحسباً للمستجدات . وإضافة إلى الأعباء العامة الثقيلة الملقاة على عاتقه آنذاك ، فقد خسر ثلاثة من أولاده بينهم ولي عهده تركي ، وزوجته جوهرة ، لإصابتهم بمرض الحمى الإسبانيولية الذي انتقل من ميادين القتال في الغرب

إلى الجزيرة العربية ، وخصوصاً الرياض عاصمة نجد .

وفي تلك الفترة، أرسل عبد العزيز ولده الأمير الشاب فيصل ـ الذي أصبح ملكاً فيما بعد ـ إلى بريطانيا ، فاجتمع ، بعد انتظار طويل ، إلى رئيس الحكومة البريطانية اللورد كرزون . لكن الاجتماع لم يخرج عن إطار المجاملة ، وذلك تأكيداً لغطرسة بريطانيا وعنجهيتها ، بعد انتصارها في الحرب ، وإثباتاً لحقيقة المواقف البريطانية المبنية على الاتفاقية السرية المعقودة مع فرنسا .

وبالفعل ، فقد تجاهلت كل من فرنسا وبريطانيا مبدأ حق تقرير المصير الذي نادى به الرئيس ولسون بعد الحرب ، وتجاهلتا رغبة الشعوب العربية في الاستقلال والحرية والوحدة ورفض الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

انتهى مؤتمر الصلح بإقرار مبدأ الانتداب البريطاني والفرنسي على البلاد العربية الشرقية التي كانت تابعة للدولة العثمانية . وتبع ذلك انعقاد مؤتمر للحلفاء في ٢٥ نيسان من عام ١٩٢٠ في سان ريمو في إيطاليا ، الذي أقرَّ فرض الانتداب على البلاد العربية ، فقسِّمت بين بريطانيا التي حصلت على فلسطين والأردن والعراق بما في ذلك آبار الموصل ، وفرنسا التي حصلت على لبنان وسوريا .

وإزاء رفض الشعب والجيش السوري لهذه المقررات ، هاجمت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال غورو ، سوريا وكانت معركة

ميسلون التي انتهت بدخول الفرنسيين إلى دمشق وسقوط الملك فيصل ، الذي انتخب فيما بعد ملكاً على العراق . كذلك اختير أخوه عبد الله أميراً على شرق الأردن بدعم بريطاني واضح .

في تلك الأثناء كان عبد العزيز يعمل على تعزيز قوته الذاتية ، وتعزيز علاقاته الخارجية . فأقام علاقات ودِّية مع فرنسا ، التي كانت تعمل على منافسة بريطانيا في شبه الجزيرة العربية . واستفاد أيضاً من انشغال بريطانيا لمعالجة الثورات التي قامت في العراق والشام وفلسطين ، فتفرغ لمواجهة تحديات أمير الكويت ، وابن الرشيد ، بتحريض من الشريف حسين .

وقد استطاع عبد العزيز معالجة عداء سعيد بن عبد العزيز بن الرشيد له بشق عشائر شمر إلى شطرين بإدخال العقيدة الوهابية إليها ، مما اضطر ابن الرشيد للتراجع عن مناهضة الأمير عبد العزيز . ثم اغتيل على يد عبد الله بن طلال العبيد الرشيد ، وخلفه ابن أخيه عبد الله بن متعب بن عبد العزيز الرشيد في الامارة . ورغب هذا الأخير في تجديد عهد الصلح مع عبد العزيز بن سعود ، الذي أصرّ على أن تكون الأمور الخارجية لشمر بيده ، فقبل بذلك بعض زعماء شمر ، باستثناء آل سبهان وآل الرشيد ، فتجدَّد الصراع ، واستمر فترة طويلة دون انقطاع .

أما الصراع مع أمير الكويت ، فكان سببه المباشر ، هذه المرة ،

الخلاف على استغلال بعض المناطق المجاورة لنفوذ الطرفين ، للرعي وغيره من الأعمال المعيشية والعمرانية . ثم تحول إلى نزاع عنيف ، بسبب دخول فيصل الدويش أمير الأرطاوية وزعيم عشائر مطر في تلك المواجهة بتكليف من الأمير عبد العزيز آل سعود ، فخاض مع قوات الكويت ، بقيادة الشيخ سالم الصباح وبعض قبائل شمر المتحالفة معه ، معركة ضارية في الجهري عام ١٣٣٣ هـ / ١١ تشرين الثاني ١٩٢٠ م ، انتهت بهزيمة الشيخ سالم هزيمة منكرة . ولم ينقذه من الوقوع في الأسر ، إلاَّ الخداع والتظاهر بالاستسلام واعتناق الوهابية . ثم ما إن وصل إلى الكويت حتى طلب حماية الحكومة البريطانية التي هددت قوات فيصل الدويش باستخدام « الطيارات والمراكب الحربية ضدها » ، فتراجعت القوات المذكورة . ثم بدأت المفاوضات بين الجانبين ، وفي أثنائها توفي الشيخ سالم في ١٧ جمادى الثاني ١٣٣٩ هـ/ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢١ م ، فخلفه ابنه الشيخ أحمد الجابر الذي أتمَّ الصلح مع الأمير عبد العزيز .

عبد العزيز سلطاناً على نجد والاستيلاء على حائل

في صيف ١٣٣٩ هـ / ١٩٢١ م ، عقد في الرياض مؤتمر حضره الأمراء والعلماء ورؤساء القوم الذين قرروا ، بعد البحث

والتـداول في شؤون البـلاد ، أن يكـون الإمـام عبـد العـزيـز بن عبد الرحمن الفيصـل آل سعود ، « سلطان نجـد » ، على أن يكون هذا اللقب لمن يخلفه في الحكم . وأبلغ المفـوض البريـطاني في بغـداد بذلـك ، فاعتـرفت بريـطانيا بـه سلطانـاً شـرعيـاً على البـلاد النجدية ، وبمن يخلفه من ذرِّيته .

وفي نفس الـوقت ، أبلغ السلطان عبـد العـزيـز الحكـومـة البـريطانيـة سروره ، بـانتخاب الأميـر فيصل بن الحسين ملكـاً على العراق ، شريطة أن لا يلحق ذلك بحقوق نجد ومصالحها أي ضرر .

انتقل عبد العزيز بعد هذه المرحلة لمعالجة مشكلة أساسية ، طالما شغلته طويلاً ، هي مشكلة « آل الرشيـد » أمراء جبـل شمر ، وعاصمته حائل ، الذين ما زالت لديهم سلطة قوية على قسم كبير من قبائل شمر ، ذات البأس والقوة ، والتي لها امتداداتها داخل العراق .

وآل الـرشيد ، كمـا بيَّنا ، كـانوا على الـدوام الطرف المحلي الأسـاسي المناوىء للسلطان عبـد العزيـز ، الذي يثيـر الإشكـالات ويحرك القبائل ، وينسج التحالفات المعادية له .

لذلك قرَّر عبد العزيز أن يحسم وضع حائل ، العقبة الأساسية على طريق بناء الدولة السعودية . فاستفاد من الصلح الذي عقده مع صاحب الكويت الشيخ أحمد الجابر ، وجهز جيشاً مؤلفـاً من عشرة آلاف مقاتل ، وجعـل قاعـدته القصيم ، وقسمـه إلى ثلاث فـرق .

وعهد إلى أخيه الأمير سعد بقيادة الفرقـة الأولى ، ومهمتها إخضـاع الشمال وقطع الإمدادات التي تصل منه إلى ابن الرشيد ، وعهد بقيادة الفرقة الثانية إلى ولـده الأمير سعـود ، ومهمتها مهـاجمة شمـر . أما الفرقة الثالثة فتولاها بنفسه ومركزها القصيم ، إضافة إلى قوات البادية بقيادة فيصل الدويش لمهاجمة شمر من الجنوب .

وحالما بدأ الزحف باتجاه حائل ، طلب فريق من أهلها مقابلة السلطان عبد العزيز ، وعرض عليه موافقة الأهالي على الشروط التي كان السلطان قد حددها سابقاً ، والمتعلقـة بإدارة الشؤون الخـارجية لحائل فلم يستجب لطلبهم ، وشكَّك بإمكانيـة استقامـة الأحوال في شمـر ، في ظـل تسلط امـرأة (السيـدة فـاطمـة السبهـان) وبعض الأشخـاص على السلطة فيها ، وطـالب باستسـلام حائـل مع عـائلة الرشيد وجميع ما لديهم من معدَّات الحرب .

رفض الأمير عبد الله بن متعب الرشيد الشروط الجديدة ، وشنَّ الشمريون بقيادة ضاري بن طوالة عـدة هجمات على بعض القبـائل السعـودية ، وبـدأت المناوشـات والهجمات المتبـادلـة بين القـوات السعودية والشمريـين . وحاصرت القوات السعودية حائل التي التجأ أميرها عبد الله بن متعب إلى المعسكر السعودي سراً ، خوفاً من غدر محمد بن طلال الرشيد الذي قدم من الجوف إلى حائل بحجة الدفاع عن محمد آل الرشيد . فرحب به السلطان عبد العـزيز ، واصـطحبه معه إلى الريـاض . فيما خلفـه في الامارة محمـد بن طلال الـرشيد

المذكور الذي كان يتمتع بشجاعة نادرة ، لكنه يفتقد إلى الحكمة والتعقل ، فباشر أعماله بحملة على قرى حائل التي استسلم أهلها للسلطان عبد العزيز ، وهدمها ونكَّل بأهلها وقتل أكثرهم .

ثم زحف السلطان نحو حائل على رأس عشرة آلاف مقاتل مزودين بعدد من المدافع . عندها عرض ابن الرشيد الاستسلام ، لكن السلطان عبد العزيز رفض طلبه وتابع زحفه نحو مواقع هذا الأخير ، وأحكمت القوات السعودية الطرق على القوات الشمرية فانسحب ابن الرشيد إلى حائل ، فبعث السلطان إلى أهلها يدعوهم للاستسلام دون شروط . ولما لم يستجيبوا لطلبه شدَّد الحصار على المدينة ، فضاق الأهالي ذرعاً ، ونفروا من ابن الرشيد ، وبعثوا يتوسَّلون الإمام كي لا يحملهم وزر أميرهم .

وبعد حصار استمر خمسة وخمسين يوماً ، أنذر السلطان الأهالي بتسليم ما بأيديهم من حصون خلال أيام ثلاثة ، ففعلوا ، وعفا عنهم . أما الأمير محمد بن طلال الرشيد الذي امتنع مع حاشيته في القصر ؛ فاضطر لتسليم نفسه ، بعد أن أمَّنه السلطان على حياته .

وهكذا سقطت هذه المدينة ، التي اعترف الجميع لأهلها بصمودهم وصبرهم وشجاعتهم . وقد أجمع هؤلاء على المطالبة بأحد أقرباء السلطان أميراً عليهم ، إلَّا أن السلطان عيَّن إبراهيم السبهان ، أحد أعيان حائل ، في هذا المنصب ، مراعاة

لمشاعرهم ، وحفاظاً على كرامتهم . واعتبر ذلك نوع من الحكمة والعفو ، إلى جانب حزمٍ وعزمٍ امتاز بهما السلطان عبد العزيز ، في إطار جهوده ومساعيه لإنشاء دولة عربية كبرى تستظل بروح القومية العربية لا القبلية . وكان لهذه السياسة نتائجها الإيجابية ، إذ استسلمت العشائر والقبائل والقرى للسلطان ، وأعلنت ولاءها التام له .

وما أن انتهت معركة حائل ، حتى واجهت السلطان عبد العزيز مشكلة تتعلق بالحدود بين بلاده وشرقي الأردن ؛ إذ اتجه الإنكليز إلى ضم وادي السرحان ومدينتيه الكبيرتين « الجوف » و «سكاكا» إلى شرقي الأردن التي تخضع لانتدابهم، رغم أن هذه المنطقة كانت ، ومنذ أمد بعيد في حكم آل سعود ثم في حكم آل الرشيد . لذا رأى السلطان عبد العزيز أن من الضروري السيطرة على هذا الوادي الذي يشكل أهمية استراتيجية ، فهو يربط أواسط الجزيرة العربية وسوريا بالبحر المتوسط . فأرسل بادىء الأمر المتطوعين إلى تلك المنطقة لنشر الدعوة الوهابية ، فأعطت هذه الخطة ثمارها ، إذ تمرد الأهالي على الحكم القائم فيها . ثم أرسل حملة إلى الجوف ، صيف ١٩٢٢ م ، انتهت باستسلام سكانها وبقية قرى وعشائر وادي السرحان ، وضم القسم الأكبر من الوادي إلى السلطنة . لكن الإنكليز استغلوا اختراق القبائل السعودية الحدود إلى شرقي الأردن، واحتلُّوا قرية « كاف » ، على مدخل وادي السرحان ، من جهة

سـوريـا ، وظـلّ وضعهـا بين أخــذ ورد إلى أن استـطاع السلطان عبد العزيز استردادها عام ١٩٢٥ م .

من جهة ثانيـة ، تدخّـل الإنكليز لمصلحـة العراق في النـزاع القائم بينه وبين السلطنة النجدية حول تبعية قبائل الضفير التي تقطن أقصى الشـرق لجهة الكـويت والعشـائـر الشمـريـة التي نـزحت من حائل ، بعـد سقوطهـا ، إلى العراق ، وعشيـرة العمارات ، إحـدى أفخاذ عنيزة ، التابعة أساساً لابن سعود . وقد اشتد النزاع من جـراء الهجمات التي كان يشنهـا الشمريـون والهجمات المقـابلة التي كان يقوم بها فيصـل الدويش ضـد قبائـل الضفير . إثـر ذلك دعـا السير كوكس ، ممثل بريطانيا في العراق ، إلى عقد مؤتمر مشترك في مدينة « المحمَّرة » لممثلين عن سلطنة نجد والمملكة العـراقية للبحث في هـذا النزاع . وفـرض المفوض البـريطاني حـلاً قضى بضم منـاطق الضفير والمنتفق والعمارات إلى العراق ، باستثناء منطقـة الآبار التي تستخدمها العشائر النجدية عبر الحدود العراقية .

رفض السلطان عبد العزيز هذه الحلول رفضاً باتاً ، لكنه اضطر إلى الموافقة عليها مؤقتاً ، نتيجة التطورات التي حصلت في شـرقي الأردن ، إثر دخول القبائل السعـودية إلـيهـا . وقـد عبَّـر عن موقفـه النهائي في هذه القضية بالآتي : « سأسترد بالقوة ، إن شاء الله ، ما ألزمتني القوة بالتخلي عنه » .

ضمّ عسير

جعل الأتراك من منطقة عسير ، عند احتلالها ، متصرفية عاصمتها « أبها » . وفي عهد سعود الكبير الذي كان أميراً على نجد (١٢١٨ هـ - ١٢٢٩ هـ) ، انتشرت العقيدة الوهابية في تلك المنطقة ، فخضعت بذلك لسلطته . وعيَّن ابن مجثل أميراً عليها . وعندما جاء محمد علي باشا في الحملة التركية - المصرية على الحجاز وعسير لمواجهة هذه الحركة ، كان جماعة رعاة من آل يزيد ، يدَّعون بأنهم من سلالة معاوية بن أبي سفيان ، في طليعة المدافعين عن البلاد ، بقيادة عائض آل يزيد الذي كان يقاوم تحت إمرة ابن مجثل المذكور ؛ مما جعل هذا الأخير يتنازل عن الإمارة إلى عائض ويكتب إلى الأمير السعودي لتثبيته فيها. ثم خلفه ولده محمد الذي استطاع السيطرة على كل عسير . واستمر أميراً عليها إلى أن اغتاله رديف باشا ، وأعادها للنفوذ العثماني .

ورغم ذلك ، فإن الدولة العثمانية ، بقيت تستعين بنفوذ آل عائض ، وتعيِّن أحد كبارهم مساعداً للمتصرف التركي .

وكان آخر من شغل هذا المنصب منهم حسن بن علي آل عائض الذي استقل بالإمارة بعد نشوب الحرب العالمية الأولى ورحيل الأتراك . واستبد بالناس فنفرت منه القبائل ، لا سيَّما بنو قحطان وزهران ، الذين استنجدوا بالسلطان عبد العزيز آل سعود ، فأرسل إلى حسن آل عائض وإلى زعماء القبائل في عسير ، وفداً من

علماء نجد ، لدعوتهم إلى المسالمة والرجوع إلى ما كان عليه أجدادهم . لكن حسن آل عائض رفض هذه الدعوة ، وأعاد العلماء إلى نجد ، مهدداً بالاستيلاء على قلعة « بيشه » أحد المواقع السعودية .

عندها قرَّر السلطان عبد العزيز التدخل ، فأرسل عام ١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م ، حملة بقيادة ابن عمه الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي ، الذي تمكن بعد موقعة « حجلة » من هزيمة أهل عسير ودخول « أبها » والسيطرة على كامل المنطقة حتى حدود السيد الإدريسي الذي كان في تلك الفترة موالياً للسلطان ، فقبض على عدد من الهاربين إلى منطقته . إثر ذلك استسلم حسن بن علي آل عائض وابن عمه محمد إلى الأمير عبد العزيز بن مساعد ، فأرسلهما إلى الرياض ، حيث أكرمهما السلطان عبد العزيز ، وأقاما بضيافته شهراً ، واتفقا معه على تحديد العلاقة التاريخية بين آل عائض وآل سعود . وعرض السلطان على حسن بن علي إمارة أبها ، لكنه اعتذر مكتفياً بمساعدة مادية ، وغادر محمد ليقيم عند حاكم « أبها » في حين سافر حسن إلى بلدته « حرملة » حيث عاد يعمل من جديد ضد السلطان عبد العزيز آل سعود ، وتمكن من السيطرة على « أبها » .

إزاء هذا الواقع اضطر السلطان عبد العزيز إلى إرسال حملة سنة ١٣٤٠ هـ / حزيران ١٩٢٢ م ، بقيادة ابنه الأمير فيصل الذي استطاع احتلال « أبها » ، ثم حاصر حسن بن علي في بلدته

« حرملة » واستولى عليها بعد معركة عنيفة . وفي نفس الوقت عمل على مواجهة القـوة التي بعث بها الشـريف حسين إلى تهامـة لنجدة محمد بن عائض الذي فرَّ من أبها بعد أن احتلتها القوات السعودية . ورغم أن قوات الأمير فيصل لم تستطع الصمود في تهامة بسبب الحر اللاهب والحمّى التي أصابتها . فاضطرت للتراجع ، إلاَّ أن الخلاف الـذي دبَّ بين قـائـدي الحملة الحجـازيـة ، الشـريف عبـد الله بن حمزة ، والملازم حمدي ، مكَّن القوات السعودية من الفتك بالقـوة الحجازية ، واضطر قائدا الحملة للخلاص بنفسيهما ومعهما نفر قليل من رجالهما . وبذلك استـطاع الأمير فيصـل السيطرة على عسيـر ، وعيَّن أميراً على « أبها » ، وعاد بقواته إلى الريـاض في ٢١ جمادى الأولى ١٣٤١ هـ / كانون الثاني ١٩٢٣ م .

فشل محاولة تسوية النزاعات بين الممالك العربية المتجاورة ومبايعة الحسين بالخلافة

حرصت الحكومة البريطانية على استرضاء العـرب والاحتفاظ لنفوذها بالمركـز الممتاز في بـلادهم ، ولما كـانت الوحـدة هي أول مطالبهم فقد سعت إلى إنشاء اتحاد بين الدول العربية ليوضع تحت حمايتها وإشرافها ، أو على الأقـل سعت إلى التوفيق بين الإمـارات والممالك العربية الخاضعة لنفوذها ، وحل الإشكالات فيمـا بينها ، بالقدر الذي يخدم السياسة البريطانية ويتلاءم معها .

وكانت المشاكل القائمة بين تلك الدول تلخص بالآتي :

ـ العلاقة بين نجد والعراق وخصوصاً قضية قبائل شمر التي نزحت إلى العراق ، إثر احتلال حائل من قبل السلطان عبد العزيز ، وراحت تشن الغارات على العشائر النجدية .

ـ رسم الحدود بين نجد وشرقي الأردن .

ـ حل المشاكل القائمة بين نجد والحجاز .

دعت بريطانيا إلى عقد مؤتمر في الكويت ، لبحث هذه الأمور . وجاء في الدعوة البريطانية الموجهة إلى السلطان عبد العزيز آل سعود أن الغرض من عقد هذا المؤتمر إزالة سوء التفاهم ، وحلّ جميع المشاكل بين الممالك المتجاورة .

وافق السلطان عبد العزيز على المؤتمر لكنه اشترط أن تكون المفاوضات بين الوفد النجدي وكل من الوفود الأخرى على حدة ، فوافق المعتمد البريطاني « نوكس » على ذلك ، بعدما وافقت حكومات الدول الأخرى .

عُقد المؤتمر في ٧ جمادى الأولى ١٣٤٢ هـ / ١٧ كانون الأول ١٩٢٣ م . وفي الجلسات الأولى ، تمَّ الاتفاق بين نجد والعراق على جملة أمور تتعلق بمعاقبة الذين يشنون الغارات في أطراف البلدين وبكيفية المعاقبة وبطريقة المراسلة بين الحكومتين فيما يختص بالعشائر . وقد ربط العراق نفاذ المعاهدة المزمع عقدها

بـالاتفاق بين نجـد والحجاز أيضـاً . لكن الشريف حسين رفض أن يـرسل منـدوبـاً من قبله إلى المؤتمـر ، معتبـراً أنـه « لا يشتـرك في المفـاوضـات مـا زال ابن سعـود محتـلاً بلدة واحـدة من بلدان الحجاز » .

رفض الوفد النجدي هذه المادة الشرطية ، فأبـرق نوكس إلى حكومته « أنه لا يمكن البتّ في شأن من الشؤون ما لم يوفد الحجاز مندوبه » . ونشيـر هنا إلى أن وفـد العراق ، إضـافةً إلى اشتـراطـه الاتفاق مع الحجاز أبلغ المؤتمر تعذر تنفيذ أحد البنود التي وقع عليها والمتعلق بإخراج قبائل شمر ، فكان ذلك إيذاناً بفشل المؤتمر .

في تلك الأثناء حصلت تطورات هامة في تركيا، إذ أعلنت نفسها جمهورية ديمقراطية علمانية، تحت زعامة مصطفى كمال باشا «أتاتورك» وإلغاء الخلافة الإسلامية . فرأى الشريف حسين أن الفرصة مؤاتية لـه لتولي هذا المنصب الديني الرفيع . وبينما كان السلطان عبد العـزيز في الإحساء ، يتلقى نتائج مؤتمر الكويت ، كان الشريف حسين بن علي قد وصل إلى عجمان ، في ٨ جمادى الثـانية ١٣٤٣ هـ / ١٧ كانون الثـاني ١٩٢٤ م ، لـ « جس نبض الأقطار العـربية في مسـألة الخلافة ، وليكون على قرب منها » ، ثم أعلن نفسه خليفة للمسلمين في اجتماع عقد بقرية « الشونة » قرب عمان .

عبد العزيز في الحجاز

بعـد أن أعلن الشريف حسين نفسـه خليفة على المسلمين ، ازدادت أسباب المواجهة بينه وبين السلطان عبـد العزيـز آل سعود ، الذي كان منهمكاً بالعمـل للتحرر من الالتـزامات التي قـطعها على نفسه لبريطانيا خصوصاً في معاهدة « العقير » ، فتوصل إلى نوع من التسوية مع الإنكليز لتخفيف تلك الالتزامات ، ممـا جعله ينتقل في تفكيره وعمله إلى قضية هامة جـداً ، وهي احتلال الحجـاز ، معقل الشريف حسين والأماكن الإسلامية المقدسة .

وقد شجعه على ذلك ، غياب الإجماع الإسلامي حيال خلافة الحسين ، خصوصاً مسلمي الهند . وكان السبب المباشر لهذا التوجه عند السلطان عبد العزيز ، هو سلطة الحسين على الأماكن المقدسة ورغبة أهالي نجد بالحج إلى مكة المكرمة ، بعد انقطاع طال ثلاث سنوات ، بسبب النزاع القائم بين الطرفين ، وتشدّد الشريف حسين في وضع القيود على الوافدين من نجد بحجة الخشية من اصطدامهم بالمذاهب الأخرى في الحجاز .

وفي شهر ذي القعدة من عام ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م ، عُقد في الرياض مؤتمر عام برئاسـة الإمام عبـد الرحمن الفيصـل آل سعود ، والد السلطان عبد العزيز ، بحضور السلطان نفسه والعلمـاء ورؤساء القبـائل ، نـاقش رغبة أهـل نجد وخصـوصاً الإخـوان منهم في إداء فريضة الحج والظروف التي تحـول دون ذلك . وأجمـع هؤلاء على

ضرورة أداء هذه الفريضة مهما تكن الموانـع ، إلاَّ إذا رأى السلطان عبد العزيز أن من المصلحة تـأجيل الحـج في هذا العـام ، وربطوا الموافقة على هذا التأجيل بالعمل على غزو الحجـاز والسيطرة على البيت الحرام .

ردّ عبـد العزيـز على هذه الـرغبة بتـوضيح العـلاقة بينـه وبين الشـريف حسين ، مؤكـداً على أن هــذا الأخيـر ، لا يــرغب على الإطـلاق في حـل المشـاكـل القـائمـة بين نجــد والحجـاز ، وأنــه كـان دائمـاً يــزرع الشقـاق بين القبـائـل السعــودية ، وأن لا أمــل في تحسين العـلاقـة معـه ، بـل إن الأمـور تـزداد سـوءاً وتبـاعــداً ، ولا بدّ من وضع حد لذلك ، دفاعاً عن مصالح أهالي نجد وحقهم في الحج إلى بيت الله الحرام . فأيد الحاضرون هذا التوجه الحاسم عند عبد العزيز ، وصدرت الفتوى بالذهاب إلى الحجاز سلماً أم حرباً .

كان عبد العزيز يـدرك أنـه من المشكوك فيه أن يقف الإنكليز موقف المتفرج إزاء احتـلال الحجاز وتمـدد سلطته من الخليـج إلى سواحل البحر الأحمر ، وأن عليه أن يأخذ بعين الاعتبار وجود الأمير عبد الله ، نجل الحسين الثاني ، على عرش الأردن ، ووجود الملك فيصل نجله الثالث على عرش العراق ، مما يجعل مسألة مساعدتهما لوالدهما الشريف حسين أمراً متوقعاً .

مهد السلطان عبد العزيز لخطته ببيـان صدر بـاسم ابنه الأميـر فيصل بن عبد العزيز حمل فيه بعنف على حكم الملك حسين وعدَّد

مساوئه ، لجهة الفوضى القائمة على صعيد الإدارة وانعدام سلطة القانون والنظام ، ونهب الحجاج وتعرضهم لمساوىء مختلفة ، مما يجعل أداءهم لفريضة الحج أمراً مستحيلاً ، مشيراً إلى أن تنصيب الشريف حسين لنفسه خليفة على المسلمين يتعارض مع « التقاليد الدينية الموروثة » . وتضمن البيان دعوة صريحة موجهة إلى العرب لبذل الجهود والتضحية من أجل تحقيق الوحدة العربية . كما أكَّد على أن لا مطامع للدولة السعودية بالفتح والتوسع إلى أبعد من حدودها الطبيعية . وقد كان لهذا البيان أثره لدى مسلمي الهند ، الذين أعلنوا وقوفهم إلى جانب السلطان عبد العزيز ، مما جعل بريطانيا الحاكمة على الهند ، تحاذر الوقوف ضد سياسة السلطان عبد العزيز أو التدخل في شؤونه .

بعد ذلك ، بدأ السلطان عبد العزيز بحشد قواته ، لتنفيذ القرار الذي اتخذ في مؤتمر الرياض ، وأسند قيادتها إلى السلطان بن بجاد الشهير بلقب « سلطان الدين » ، والشريف خالد بن منصور بن لؤي ، أمير الخرمة ، فزحفا على رأس جيش من ألفي مقاتل ، من عدة مناطق وقبائل ، وانضم إليه حوالى ألف مقاتل من الديار النجدية وعربانها . وانطلق ، في شهر آب ١٩٢٤ م / ١٣٤٣ هـ ، من تربه باتجاه الطائف ، وبصورة فاجأت المسؤولين في الحجاز ، الذين أرسلوا على عجل قوة مزودة بعدد من المدافع والرشاشات لملاقاة القوات السعودية في قرية « **الحويّه** » القريبة من الطائف ، ودارت

معركة دامت عدة ساعات انتهت بهزيمة القوات الحجازية نحو الطائف .

أرسل الشريف حسين قوة داعمة من الهجانة والخيالة ، بقيادة ولده الأكبر علي ، الذي وصل إلى الطائف ، ثم اتجه منها نحو « الهدى » ، فاستغل قادة الجيش السعودي خروجه ، وزحفوا مباشرة نحو الطائف ، وتمكنوا من دخولها بسهولة .

أدت مقاومة بعض الأهلين للجيش السعودي إلى مذبحة رهيبة عمل على إيقافها القائد « سلطان الدين » واستنكرها السلطان عبد العزيز نفسه ، وأمر بعدم التعرض للسكان المدنيين وبالتعويض على المتضررين .

بعد ذلك ، اتجهت القوات السعودية نحو « الهدف » ، واستطاعت إلحاق الهزيمة بالقوات الحجازية المرابطة هناك بقيادة الأمير علي بن الحسين ، وأصبحت الطريق إلى مكة سالكة أمامها ، فأرسل عبد العزيز إلى قائديه يحذرهما من استخدام العنف ويوصيهما بحماية الممتلكات والأرواح ، وأن يحاولا دخول مكة سلماً .

اضطربت الأحوال في مكة ، وسادها جو من الفزع والرعب ، حمل بعض سكانها على مغادرتها . لكن الملك حسين ظلّ صامداً يحثّ الأهالي على الثبات والدفاع ، أملاً بحصول تطورات تنقذ الموقف ، خصوصاً أنه كان يأمل بدعم بريطاني يعزّز وضعه على

غرار ما حصل في السابق .

لكن بريطانيا أعلمته ، عبر ممثلها في جدة أنها تعتبر المعركة بينه وبين ابن سعود نزاعاً مذهبياً لا تجيز لنفسها التدخل فيه ، ولكنها على استعداد للتوسط بين الفريقين المتنازعين .

إزاء هذا الموقف البريطاني ، وجد الملك حسين نفسه في مأزق ، وانهارت معنويات السكان ، وتدهور الوضع السياسي في مكة ، وتألفت هيئة باسم « الحزب الوطني الحجازي » ، عملت مع أعيان الحجاز وعلمائه وتجاره على تدارك الموقف الحرج ، وذلك بالطلب إلى الشريف حسين التنازل عن العرش وتنصيب ابنه الأمير علي وولي عهده « ملكاً على الحجاز فقط » ، وبعثت إليه البرقية الآتي نصها :

« بما أن الشعب الحجازي بأجمعه ، الواقع الآن في الفوضى العامة بعد فناء الجيش المدافع وعجز الحكومة عن صون الأرواح والأموال ، وبما أن الحرمين الشريفين خاصةً وعموم البلاد مستهدفة لكارثة قريبة ساحقة ، وبما أن الحجاز بلد مقدس يعني أمره جميع المسلمين ، لذلك قررت الأمة نهائياً طلب تنازل الشريف حسين وتنصب ابنه الأمير علي ملكاً على الحجاز فقط » .

ردّ الشريف حسين على طلب «الحزب الوطني الحجازي»، مبدياً استعداده للتنازل عن العرش شرط تعيين شخص آخر غير ولده

علي ملكاً على الحجاز . لكنه عاد ووافق على التنازل لابنه ، بعد إلحاح من الحزب المذكور. وتمت البيعة للأمير علي ملكاً دستورياً على الحجاز فقط ، « على أن يكون في البلاد مجلس نيابي وطني وقانون أساسي تضعه جمعية تأسيسية ، كما هو جارٍ في الأمم المتمدنة ، وعلى كتاب الله وسنة رسوله » ، وذلك في ٥ ربيع الأول ١٣٤٣ هـ / ٣ تشرين الأول ١٩٢٤ م .

وفور تبلغ الملك علي نص كتاب بيعته شكَّل وزارة من خيرة رجال العرب . لكنه لم يتمكن من الاستمرار في الحكم طويلاً ، لأن تنازل والده له عن العرش ، ومغادرته إلى العقبة ، لم يحل المشكلة بنظر السلطان عبد العزيز آل سعود ، الذي اعتبر أن أسباب النزاع ما زالت قائمة مع أسرة الشريف التي « كان عليها التنازل نهائياً عن الملك » .

وكانت القوات السعودية بقيادة الشريف خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد قد وصلت إلى منطقة تبعد ٦ ساعات عن مكة . وقد ناقش العلماء في الرياض مشروعية الدخول إلى مكة حرباً ، وأفتوا بأن دخول الحرم المكي بقصد القتال لا يجوز . فأمر السلطان عبد العزيز قواته بالتصرف على هذا الأساس ، وأصدر بياناً إلى الأمة الإسلامية عامة وأهل الحجاز خاصة ، أعلن فيه زهده بالخلافة ، وأن « هدفه الأول هو احترام كلمة الله ، وإعلاء شأن الدين الحنيف ، وصيانة حرمة البلاد المقدسة ، والذود عن حرية

العرب » ، واعداً سكان مكة المكرمة والمدينة المنورة بالحفاظ على أرواحهم وأموالهم ، على أن يترك مستقبل الأراضي المقدسة إلى مؤتمر يعقد لهذه الغاية ، ويشترك فيه جميع المسلمين .

في أثناء ذلك كان الوضع الدفاعي في مكة المكرمة يتدهور باستمرار حتى وصل إلى درجة التلاشي ، وتمكّن أربعة من رجال القائد ابن بجاد الدخول إلى المدينة ، بلباس الإحرام ، فوجدوها خالية من أي جهاز عسكري ، فأذاعوا بيان السلطان ابن سعود على الناس ، وأعطوهم باسمه الأمان . وفي ١٧ ربيع الأول ١٣٤٣ هـ ، وصلت طلائع الجيش إلى مكة ، وفي اليوم التالي ، دخلها الشريف خالد بن لؤي ببقية القوات محرمين . وبعد فك الإحرام ، استولى ابن بجاد على المدينة المقدسة ، وانتظر صدور تعليمات جديدة من السلطان عبد العزيز .

وكان الملك حسين عند وصوله إلى جدة ، أعدَّ بلاغاً أرسله إلى رئيس وزراء ولده الملك علي ، يحتج فيه على « الحكومة الدستورية » التي ألَّفها هذا الأخير ، وعلى « طغاوي ابن سعود » ، و « مطامع الإمام يحيى بن حميد الدين » ، وعلى « حصر سلطة الحجاز بالحجاز » . واتصل بولده عبد الله أمير الأردن ، لدعم أخيه الأكبر الملك علي ، وأمدَّه بالأموال لهذا الغرض . فأرسل الأمير عبد الله القوات التي تمكّن من جمعها من مختلف أنحاء فلسطين

وسوريا والأردن ، إلى معان وجدة لـدعم الخط الحجازي بين جـدة والمدينة المنورة .

كمـا أن الملك علي ، الـذي غـادر مكـة إلى جـدة ، راح يجمع فلول جيشه للدفاع عن هذه المـدينة ، بعـدما رفض السلطان عبد العزيز عرضاً تقدم به لعقد الصلح معه ، انطلاقاً من تنازل والده الشريف حسين عن العرش .

وهكذا بدأت الاستعدادات لجولةٍ جديدةٍ من المواجهة ، كانت القوات الحجازية خلالها في موقع دفاعي ، فالتراجع السريع عن مكة المكرمة أثَّر بشكل حاسم على معنوياتها . كما أن سوء إدارة الشؤون التـابعة للقـوات المتواجـدة في منطقـة معان وتلك التي أُرسلت إلى جدة ، لجهة تأمين التجهيز والسلاح والتموين والغذاء ، زاد من تردِّي الوضع بالنسبة لهذه القوات ، وجعل امكانياتها على الأداء والمواجهة والصمود محدودة جداً .

ورغم ذلك ، فإن وصول ما يقارب ١٥٠٠ جندي إلى جدة ، جعل الملك حسين يطمئن إلى بقاء نجله ملكاً على الحجاز وعودته إلى مكة . ولم يبدِّد هذا الاطمئنان إلاَّ وصـول أميرال بـريطاني إلى العقبـة في ٢٨ أيـار ١٩٢٥ م، حـامـلاً إليـه رسـالـةً من الحكـومـة البـريطانيـة تعلمه فيهـا بـأنهـا تعتبـر العقبـة ومعـان تحت الانتـداب البريطاني وأنهـا ستضمهما إلى الأردن ، طـالبةً منـه « مغادرة العقبـة خلال ثلاثة أسابيع ، أنَّى يشاء » .

رفض الشريف حسين بشدة هذا الموقف من بريطانيا ، وأدان سياسة الوعود والعهود التي التزمت بها تجاهه ، قبيل الثورة العربية . فاتصل الإنكليز بالأمير عبد الله ، الذي عمل على إقناع والده بضرورة تنفيذ الرغبة البريطانية في مغادرة العقبة، حفاظاً على عرشه وعرش أخيه في العراق . استجاب الشريف حسين لطلب ولده ، وغادر إلى قبرص ، وبقي فيها حتى أواخر أيار ١٩٣١ م ، حيث اشتدّ عليه المرض ، فنقل إلى عمان ، وتوفي فيها في ٣ حزيران ١٩٣١ ، ودفن بجوار الحرم الشريف .

في تلك الأثناء ، كان الحجاز قد سقط بأسره بيد القوات السعودية ، باستثناء المدينة المنورة ، وجدة ، وميناء ينبع ، فحاصرتها القوات السعودية . وبدأت مرحلة من المفاوضات ، افتتحها وفد من وجهاء جدة ، قام بزيارة مكة لمفاوضة القائدين السعوديين ابن بجاد وابن لؤي ، في شروط الصلح ، بموافقة الملك علي الضمنية . ثم عاد الوفد المذكور من مكة ، حاملاً الشروط السعودية التي تتلخص في « خلع الملك علي وإخراجه ، أو الإصرار عليه للخروج من جدة إلى الحرب » .

رفض الملك علي هذين الشرطين ، وكتب إلى السلطان عبد العزيز مهدداً بإخراج جنوده من مكة ، إذا أصرَّ على شروطه . وكان رد السلطان عبد العزيز : « إن الحسين مسؤول عن الحالة ، ويجب إخلاء الحجاز من أولاد الحسين ، وانتظار حكم

العالم الإسلامي الذي له الحق في الفصل في أمر الأماكن المقدسة ، وطريقة إدارتها » .

وفيما كانت الاستعدادات جارية بين الطرفين ، كان السلطان عبد العزيز يستعدّ للعمرة ، وزيارة مكة المكرمة . وقد ألقى خطبة في ألوف الوافدين لوداعه في « الرياض » ، جاء فيها : « إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها ، بل لرفع المظالم التي أرهقت كاهل العباد . إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشريعة وتأييدها . إن مكة للمسلمين كافةً ، وسنجتمع هناك بوفود العالم الإسلامي ، فنتبادل وإياهم الرأي في الوسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن الشهوات السياسية ، وسيكون الحجاز مفتوحاً لكل من يريد عمل الخير من الأفراد والجماعات » .

ثم أرسل السلطان كتباً إلى أمراء العرب ، هذا نصها : « أما بعد ، فقد استقلّيت الطريق إلى مكة غير باغٍ ولا آثم ، فليتفضّل الأخ العظيم بإرسال من يمثله في مؤتمر مكة حباً بنشر السلام بين أمم الإسلام » .

وقبل مغادرته ، عهد السلطان عبد العزيز بالحكم إلى ولده الأمير سعود ، على أن يكون والده الإمام عبد الرحمن الفيصل المرجع الأعلى .

وفي ١٣ ربيع الثاني عام ١٣٤٣ هـ / ١١ تشرين الثاني

١٩٢٤ م ، خرج السلطان على رأس موكب كبير ، يضم مفارز من الفرسان ، وأمناء السر ، وبعض العلماء وبعض الأمراء من إخوانه وولديه الأميرين محمد وخالد ، وغيرهم من آل سعود ، وبعض من آل سبهان ، وآل الرشيد ، وعدداً من وجهاء نجد ، وكبار مستشاريه ، وواكبه بعض أهالي القصيم ، وأهل الهجر من الإخوان بألويتهم وجموعهم .

وانطلق الموكب من العارض ، وانضم إليه في الطريق عدد كبير من الألوية والجموع من مختلف أنحاء البلاد . وعند دخوله المناطق الحجازية ، تقبَّل ولاء سكان المدن والقرى وأهل العشائر الذين قدموا إليه على امتداد الطريق إلى مكة المكرمة . ثم وصل إلى المدينة المقدسة ، واستقبله الشريف بن لؤي على رأس قوة من المجاهدين ، وسار السلطان على قدميه مخترقاً شوارع مكة التي غصَّت بالحشود ، حتى وصل إلى المسجد الحرام ، فطاف حول الكعبة ، محققاً بذلك حلمه الكبير .

وفي اليوم التالي ، استعرض السلطان جيشه ، واستقبل ، في احتفال كبير ، الإخوان وغيرهم ، ثم استقبل علماء مكة ، وألقى فيهم خطبةً « دعا فيها إلى الاتحاد تحت سقف البيت الحرام ، داعياً للتقيد » بما في كتاب الله وسنَّة نبيه والخلفاء الراشدين في الأمور الأصلية . أما في الأمور الفرعية ، فاختلاف الأئمة فيها رحمة » ، موضحاً أن الأحكام التي يلتزم بها هي « طبق اجتهاد الإمام أحمد بن

حنبل » . ودعا العلماء للتبايع على هذا الأساس ، فتمَّ له ذلك .

وفي اجتماع لاحق عقده علماء مكة وعلماء نجد ، تمَّ الاتفاق بين الطرفين على المسائل الأصولية .

وفي ١١ جمادى الأولى ١٣٤٣ هـ ، صدر في جريدة « القبلة » ، التي كان يصدرها سابقاً الشريف حسين ، بلاغاً إلى أهل مكة وضواحيها ، حُدِّد فيه النهج الذي سيسير عليه السلطان ، وقد جاء فيه : « . . . لا كبير عندي إلَّا الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا ضعيف عندي إلَّا الظالم حتى آخذ الحق منه ، وليس عندي في إقامة حدود الله هوادة ، ولا أقبل فيها شفاعة » .

ثم دعا السلطان عبد العزيز ، في مؤتمر حضره الأعيان والتجار والعلماء ، إلى اختيار رجال يستطيع الرجوع إليهم في حل المسائل التي تَشْكُل عليه ، فانتُخِب ، لهذه الغاية ، مجلس للشورى .

ثم وزَّع السلطان المهام بين مساعديه . فأسند شؤون الإخوان إلى الشريف خالد بن لؤي ، وعيَّن الشريف هزاع أميراً على بدو الحجاز ، والشيخ حافظ وهبة حاكماً مدنياً إلى جانب الحاكم العسكري ، تلافياً لإمكانية تفرّد واستبداد هذا الأخير . وأتبع ذلك بسلسلة من الإنجازات على الصعد الاقتصادية والصحية والأمنية ، ساهمت في ضبط الأمور وترسيخ سلطته في الحجاز .

مرحلة حافلة بالتطورات / استكمال السيطرة على الحجاز

كان دخول القوات السعودية إلى مكة ، وتوجّه السلطان عبد العزيز إلى المدينة المقدسة إيذاناً ببدء مرحلة جديدة من الصراع ، اتسمت في بدايتها بسلسلة من الاتصالات والمفاوضات والوساطات الداخلية والخارجية ، إضافةً إلى الاستعدادات العسكرية المتواصلة من الطرفين ، رغم أن القوات الحجازية المتمركزة في جدة والمدينة أصبحت عملياً في موقع دفاعي .

وما إن علم وكلاء بعض الدول الأجنبية ، في جدة ، بالتقدم السعودي ، وتوجّه السلطان عبد العزيز إلى مكة ، حتى بادروا إلى إعلامه بحياد دولهم إزاء الصراع القائم بينه وبين أسرة الشريف حسين ، فردّ السلطان عليهم في رسالة مؤرخة في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٣ هـ ، مبدياً رغبة في حقن الدماء ، محملاً المسؤولية للشريف حسين ، وطالباً من الوكلاء الاستعداد لحماية رعايا دولهم ، سواءً في جدة حين دخولها ، أو في مكة إذا رغبوا في المجيء إليها .

كما بعث رسالة إلى أهل جدة ، بواسطة بعض زعماء القبائل ، نشرت في جريدة « أم القرى » ، أكد فيها على مسؤولية الحسين وأولاده ، عارضاً عليهم الأمان ، إذا تصرّفوا كما تصرف أهل مكة ، ثم دعاهم إلى خيارات ثلاثة : إما الخروج من جدة والإقامة في مكان

معين ، أو القدوم إلى مكة ، أو الضغط على الشريف علي وإخراجه من مدينتهم .

ثم بدأت مرحلة من الضغوط الاقتصادية ؛ إذ منع الملك علي وصول الحاجيات من ميناء جدة إلى مكة ، كما أن رجال ابن سعود منعوا العربان من إرسال الفحم إلى جدة . ورغم أن السلطان عبد العزيز عمل على معالجة الوضع بالسيطرة على بعض الموانىء الصغيرة مثل « الليث » و « القنفذة » و « رابغ » ، لاستخدامها في إيصال الحاجيات إلى مكة . إلاَّ أن بُعد المسافة بين هذه البلدات ومكة أعاق عملية جلب الأرزاق ، فضلاً عن أن بعض عشائر حرب القائمة في تلك النواحي ، كانت تمارس الاعتداء على قوافل الحجاج ، مما حمل ستين شخصية ووجيهاً من أهل مكة على توجيه رسالة إلى الملك علي يحتجون فيها على منع الأرزاق عنهم ، و « هم جيران بيت الله الحرام ، الذي قال فيهم تعالى : ﴿ **أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ . فردّ الملك علي برسالة ، قال فيها : « إن القواعد الحربية تقضي بذلك ، ولم نقصد بهذا المنع غير إخراج العدو ، وعدم تموين جيشه » .

في أثناء ذلك ، نشطت الوساطات من قبل بعض الشخصيات العربية والأجنبية الصديقة للطرفين ، ومنهم : فؤاد باشا الخطيب ، والأديب أمين الريحاني ، وطالب باشا النقيب ، والمستر فيلبي البريطاني المعروف ، والحاج حسين العويني الذي أصبح ، فيما

بعد ، رئيساً للوزراء في لبنان ، الذين وصلوا إلى جدة ، وعملوا على الاتصال منها بالسلطان في مكة .

توَّجت الوساطة التي قام بها الحاج حسين العويني بتكليف من الريحاني ـ الذي كان صديقاً للسلطان عبد العزيـز آل سعود ـ تلك الاتصالات التي كانت قائمة على قدم وساق ؛ فقد استُقبِل العـويني في مكة بالاعزاز والإكرام ، وعرض على السلطان ما لديه من وسائل وآراء . وعاد إلى جدة ، بعد ثلاثة أيام ، يحمـل جوابـاً إيجابيـاً من السلطان عبد العزيز . فارتاح الملك علي لهذه النتيجة ، واعتبـر أن النـزاع في طريقـه إلى الحـل ، مثنيـاً على جهـود كـل من العـويني والريحاني .

لكنَّ أمراً مستجداً ساهم في تعقيد الأمـور، مفاده أن الملك عـلي كان قد أعدَّ منشوراً حربياً لتوجيهه بالطائرة إلى أهل مكة ، مظهراً فيه وسائل القوة المتنوعة التي يملكها وخصوصاً الطائرات ، واعداً أهل المدينة المقدسة بالقدوم إليهم لتطهيرها من « المغتصب » . وعندما بدأت الوساطة بينه وبين السلطان عبد العزيز آل سعـود طلب تأجيـل إرسـال هذا المنشـور ريثما تنجلي نتـائجها . كمـا أمر بعـدم تحليق الـطائرات لاستكشـاف المواقـع السعوديـة . لكن القيادة العسكـرية الحجازية تجاوزت الأمر الملكي ، فأرسلت طائرةً حلَّقت فوق الأبطح والمخيم السلطاني بـالشهداء ، ورمت المنشـور الحـربي ، بعـد أن

كانت قد حلقت في سماء مكة ، قبل هذا الحادث بيومين .

غضب السلطان عبد العزيز ، وثارت ثائرة قادة الجيش السعودي و « الإخوان » ، الذين طالبوا السلطان باتخاذ القرار الحاسم . وكان على رأس المتشددين القائدان سلطان بن بجاد والشريف خالد بن لؤي اللذان طالبا بالزحف على جدة وما تبقى من الحجاز ، ما لم يكن هناك مانع حقيقي يقدِّره السلطان عبد العزيز . فتمَّت الموافقة على ذلك ، وبدأت الاستعدادات للهجوم على القوات الحجازية المرابطة في جدة .

وصلت أخبار هذه التطورات إلى جدة ، فأرسل أمين الريحاني كتاباً جديداً إلى السلطان ، مستفسراً عن الأسباب التي قوَّضت جهود السلام ، وأدت إلى الحرب فأجابه السلطان : « إن الشريف علي دعانا للمناجزة فلبَّيناه » ، مشيراً بذلك إلى المنشور الحربي الذي ألقته الطائرات على الأبطح بمكة ، وعلى مخيم السلطان .

وهكذا بدأت معركة جدة ، بزحف القوات السعودية التي بلغ عددها حوالى عشرة آلاف مقاتل ، فطوَّقت المدينة ، ثم كانت مرحلة من المناوشات العادية .

حاولت قوات الملك علي الترهيب من خلال استخدام الطائرات ، ولكن ذلك لم يؤثر على سير التطورات العسكرية ، خصوصاً أنَّ ما يملكه الجيش الحجازي منها لم يكن ذا فعالية تذكر .

ثم إن أول طائرة حلَّقت فوق معسكر السلطان ، سقطت وقتل قائدها ومرافقيه ، بعدما انفجرت قنبلة كانت مُعدَّة لرميها على القوات السعودية .

وفي ١٨ شعبان سنة ١٣٤٣ هـ ، جرت بين الفريقين معركة حامية ، انتهت برجوع القوات السعودية إلى قواعدها والقوات الهاشمية وسياراتها المصفحة إلى داخل مراكزها الأساسية ، ووقوع حوالى ٣٠٠ قتيل من الطرفين .

وفي الشمال، حصلت مواجهة أخرى بين القوات السعودية والقوات الهاشمية بسبب اعتداء عشائر « جهينة » على قوافل تحمل الأرزاق إلى مكة ، وانتهى الأمر بسيطرة القوات السعودية على بدر .

وعند حلول موسم الحج ، أمر السلطان عبد العزيز بسحب قواته من أبواب جدة ، ووجَّه نداءً إلى جميع المسلمين ، أشار فيه إلى استتباب الأمن والنظام في مكة ، مرحِّباً بقدوم الحجيج ، متعهداً بتأمين راحتهم ، والمحافظة على حقوقهم . وقد نجح هذا الموسم نجاحاً كبيراً ، ولم تعكِّر أجواءه أية إشكالات ، واعتبر ذلك بمثابة تأكيد على قدرة السلطان عبد العزيز على تولي شؤون الأماكن المقدسة ، وفرض الأمن والنظام فيها .

بعد انتهاء موسم الحج ، ازداد الضغط على مدينة جدة ، وكانت قد بلغت الحالة فيها ، في منتصف جمادى الأولى سنة

١٣٤٤ هـ ، حدًّاً لا يُطاق ؛ فنفـذ المال والـزاد ، وتذمّـر الجنود من ذلك ، حتى أن بعضهم أعلن العصيان والتمرد . وفي تلك الظروف القاسية التي كـان عليها أهـل جدة والجنـود المدافعين عنهـا ؛ وجّه السلطان عبد العزيز نداءً إلى جميع سكانها ، عرض عليهم فيه الأمان والمساعدة المالية ، وتأمين عودة الضبّـاط والجنود المتـطوّعين منهم إلى بلادهم .

وكـان لهـذا النـداء أثـرٌ كبيـر على هؤلاء المقـاتلين ، بحيث اضطرت القيادة العسكرية الهاشمية إلى تسريح عدد كبير من قواتها . وفي الوقت نفسه كانت صحة الملك علي قد تدهـورت ، ولـم يعد قادراً على الإمساك بزمام الأمور ، فعرض تسليم المدينة إلى السلطان عبد العزيز ، بواسطة المعتمد البريطاني في جدة .

تضمن هذا العرض بعض الشروط التي تكفل سلامة الموظفين الملكيـين والعسكريـين والأشراف وأهالي جدة عموماً ، مع عائلاتهم وأمـوالهم ، والعفو العام عنهم ، وإبقـاء جميـع مـوظفي الحكـومـة الملكيـين الذين لديهم الكفاءة في مراكزهم ، ومنح عـائلة الحسين جميـع ممتلكـاتهم المـوروثـة فعـلاً ، على أن يغـادر الملك علي الحجاز ، ويتعهّد بتسليم أسرى الحرب وجميع الأسلحة والـذخائـر والمراكز العسكرية ، كما يتعهد بعدم المساس بأملاك الحكومة .

وافق السلطان عبد العزيز على هذه الشروط ، ووقّع عليها في الـرغـامـة ، نهـار الخميس الأول من جمـادى الثـانيـة ١٣٤٤ هـ /

١٧ ديسمبر « كانون الأول » ١٩٢٥ م ، بحضور نائب المعتمد البريطاني جوردن ، كما وقَّع عليها الملك على مساء اليوم نفسه .

وهكذا استسلمت جدة إلى السلطان عبد العزيز ، ودخلها صباح الأربعاء السابع من جمادى الثانية ، واستقبل استقبالاً حماسياً ، وأطلقت المدفعية مئة طلقة وطلقة تحية له .

أما المدينة المنورة ، فقد انعكست عليها التطورات الحاصلة في سائر مناطق الحجاز ، كما ضاق سكانها ذرعاً بالحصار المفروض حولها . ورغم أن حاميتها الهاشمية ، صمدت بوجه كافة الضغوط وأصرَّت على عدم التسليم ، فإن نفاذ مؤونة الجنود المدافعين عنها ، جعل من المتعذر عليها الاستمرار بصمودها، مما اضطر القائد عزت، ورئيس ديوان القائمقامية عبد الله عمير ، للاستسلام إلى الأمير محمد بن عبد العزيز ، بعد تعهده لهما بالعفو العام عن جميع الضباط والجنود وأفراد الشعب . وقد تمَّ تسليم المدينة في ١٦ جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ / ٥ كانون الثاني ١٩٢٥ م ، بعد حصار دام عشرة أشهر .

لم يرق هذا الحل لفيصل الدويش ، الذي كان يحاصر المدينة المنورة ، قبل مجيء الأمير محمد بن عبد العزيز ، فاستباح قرية الموالي القريبة منها ، وصمَّم على قذف مدينة الرسول ﷺ نفسها بالقنابل ، الأمر الذي لم يوافق عليه السلطان عبد العزيز . لذلك غادر الدويش غاضباً إلى الأرطاوية ، مظهراً عدم اقتناعه بالأسباب

التي جعلت عبد العزيز يعامل أهل الحجاز معاملة حسنة .

وفي تلك الفترة التي كان يدور فيها الصراع حول مصير الحجاز ، عُقدت بين السلطان عبد العزيز والحكومة البريطانية اتفاقيتان ، الأولى : اتفاقية « بحره » لحل المسائل العالقة بين نجد وشرقي الأردن ، والثانية : اتفاقية « حداء » لتسوية المشاكل بين نجد والعراق ، وذلك في منتصف ربيع الأول عام ١٣٤٤ هـ .

نصت اتفاقية « بحره » على تنظيم كل الأمور المتعلقة بالعشائر المتنقِّلة بين نجد والعراق ، والقيود والإجراءات الواجب اتخاذها لمنع التجاوزات والتعديات التي تمارسها العشائر المنطلقة من أراضي إحدى الدولتين على أراضي الدولة الأخرى ، وتحديد وسائل حل الإشكالات التي قد تطرأ بين الدولتين من جراء هذه التعديات .

أما اتفاقية حداء ، فقد نصت على تعيين الحدود بين نجد وشرقي الأردن ووسائل حل الإشكالات الأمنية التي تقع قرب الحدود ، والإجراءات اللازمة لمعالجة الاعتداءات التي تقوم بها العشائر القاطنة في أراضيها على أراضي الدولة الأخرى .

عبد العزيز ملكاً على الحجاز

شكل الانتصار السعودي في الحجاز تحولاً مهماً في شبه الجزيرة العربية خاصة ، وفي العالم الإسلامي بشكل عام . ونظراً لأهمية هذه المنطقة التي تضم أهم الأماكن الإسلامية المقدسة ، فقد

دعا السلطان عبد العزيز الحكومات الإسلامية المستقلة إلى عقد مؤتمر إسلامي في ربيع الثاني ١٣٤٤ هـ لتقرير مصير الحجاز وشكل الحكم فيه . فتخلّف عن الحضور مندوبو الأقطار العربية الواقعة تحت النفوذ الإنكليزي ، وهي : مصر ، فلسطين ، العراق وشرقي الأردن . ولم يحضر هذا المؤتمر سوى مندوبون من شمالي إفريقيا ، جاوا ، سومطرة ، لبنان ، سوريا ومسلمي الهند .

اقترح مندوبو الهند أن يكون الحكم في الحجاز جمهورياً ، وتحت إدارة مشتركة من جميع المسلمين ، على أن يتولى مسلمو الهند القسم الأكبر من نفقات القوى التي ستكلَّف حفظ الأمن والنظام .

رفض الحجازيون الاقتراح المذكور مخافة أن يتعرض مصيرهم لتسلط أجانب لا يتفقون معهم في التفكير والعادات ، واعتبروا أن السلطة في الحجاز هي للحجازيين ، وهم والنجديون سواء .

كما عُقد في القاهرة مؤتمر آخر للغرض نفسه في أيار عام ١٩٢٦ م ، لكنه فشل في التوصل إلى حل مقبول من الحجازيين .

إثر ذلك ، تألفت في كل من جدة ومكة لجنة تضم الأعيان وأصحاب الرأي في كل من المدينتين . ثم عقدت اللجنتان مجلساً مشتركاً في مكة ، تقرر فيه مبايعة السلطان عبد العزيز آل سعود ملكاً على الحجاز .

وبعدما وافق السلطان عبد العزيـز على ذلك ، تمَّت لـه البيعة في اجتماع حاشد ، عند باب الصفا من المسجد الحرام ، بعد صلاة الجمعة في ٢٥ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ / ١٠ يناير « كانون الثاني » ١٩٢٦ م ، على أن يكون « ملكاً على الحجاز على كتاب الله وسنّـة رسوله ﷺ ، وما عليه الصحابة رضـوان الله عليهم والسلف الصالـح والأئمة الأربعة ، رحمهم الله ، وأن يكون الحجاز للحجـازيـين وأن أهله هم الذين يقومون بإدارة شؤونه ، وأن تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز ، والحجاز جميعه تحت رعايتهم » .

ففي الوقت الذي كانت فيه المدفعية تُطلق مئة طلقـة وطلقة ، كـان الملك عبد العـزيز يتقبـل البيعـة من أشـراف مكـة ووجهـائهـا وأعيانها ، والمجلس الأهلي ، وأركـان المحكمة الشـرعية ، وأئمـة المساجد وخطبائها ، والمجلس البلدي ، ثـم أهل المدينة المنورة ، ثم أهل جدة .

وبعد أن طاف حول البيت الحرام ، انتقل الملك عبد العـزيز إلى تقبُّل التهاني ، ثم ألقى في المجتمعين خطبةً ، حثَّ فيهـا على الصراحة والصدق في القول ، وعلى ترك الرياء والملق في الحديث قـائـلاً : « لم يفســد الملك إلاَّ الملوك وأحفـادهم ، وخـدامهم ، والعلماء المملقون وأعوانهم ، ومتى اتفق الأمراء والعلماء ليستر كل منهم على صاحبه ، فيمنح الأمير المنح والعلماء يدلِّسون ، ضاعت الناس ، وفقدنا ، والعياذ بالله ، الآخرة . . . » .

ثم طلب السلطان تـأليف مجلسٍ تأسيسي من منـدوبي مكـة وجدة وبقية البلدان الحجازية للنظر في شكل الحكومة ، وعـلاقات نجد بالحجاز . وقد انبثقت عن هـذا المجلس لجنة بـرئاسـة الشيخ عبـد القادر الشيبي ، حـامل مفتـاح بيت الله الحرام . قـررت هـذه اللجنة أن يحمل الملك عبد العزيـز ، لقب « ملك الحجاز وسلطان نجـد وملحقاتهـا » ، كما قـرَّرت إحالـة بعض الأمـور الأخـرى إلى المجلس التأسيسي عن نجد ، للنظر فيها .

وبعـد أن استتب لـه الأمـر في الحـجـاز ، عمـد الـملك عبـد العـزيـز ، إلى إعـادة تـرتيب الأوضـاع في نجـد ، في ضـوء المستجدات التي حصلت ، فعيَّن نجله الثاني الأمير فيصل نـائباً لـه في الحجاز ، كما سلَّمه مهام وزارة الخـارجية ، لمـا عرف عنـه من حنكة ودراية ، ثم توجَّه إلى الرياض .

الملك عبد العزيز يتجاوز فصلاً آخر من المتاعب الخطيرة

مـا ان انتهى الملك عبد العـزيز من تنـظيم وضـع الحجـاز ، وتأمين الاستقرار فيه ، حتى واجهته سلسلة من المتاعب الجديـدة ، كان أبرزها ما يلي :

١ ـ اضـطراره للعودة إلى الـريـاض لمـواجهـة بـوادر التمـرد والنقمـة مـن القبائـل والإخوان الـذين أعادهم إلى ديـارهم . وعقد

مؤتمراً لهذا الغرض في أواخر أيام الحج عام ١٩٢٦ ، تمكّن خلاله من تصحيح الوضع .

٢ ـ الخرق العراقي ـ البريطاني لإتفاقية الحدود وقصف الأراضي النجدية بالطائرات :

فقد قامت القبائل الشمرية التي لجأت إلى العراق بعد سقوط حائل ، إلى شن الغارات المتوالية على العشائر في داخل أراضي نجد ، وذلك دون أن تحرّك السلطة البريطانية المنتدبة في العراق ساكناً ، لا بل إنَّ الإنكليز عمدوا إلى إرسال موفدين عسكريين من قبلهم لزيارة العشائر النجدية التي يُشَكّ بولائها للملك ابن سعود ، لإثارة البلبلة والشكوك في سياسته . وبالرغم من اعتراف المندوب البريطاني في العراق السير « هنري دوب » في ١٠ أيلول ١٩٢٧ م « بالتزام ابن سعود بالمحافظة بكل دقة وعناية على بنود الاتفاقية وسيادة السلام والهدوء في المناطق التي تحت سيطرته » . فقد أخذت الحكومة العراقية بإنشاء مراكز عسكرية داخل « المنطقة الحرام » المشتركة للرعي والسقي . وقد تبيَّن أن الغرض من هذه التحصينات يتجاوز مسألة حماية الحدود من هجمات العشائر النجدية ، إلى هدف أهم ، هو رغبة الإنكليز في إنشاء سلسلة من الحصون العسكرية حول حدود امبراطوريتهم .

كما اتضح أن الغرض من هذا الإجراء هو إثارة المتاعب الداخلية أمام الملك عبد العزيز . ذلك أن « فيصل الدويش » ، زعيم

الأرطاوية ، هاجم مع رجاله من مطير الحصـون العسكريـة العراقيـة حول موقع « بسيجه » من دون أن تحرك القوات العـراقية سـاكناً في باديء الأمر ، لسبب لم يظهر إلاَّ فيما بعد .

وعندما علم الملك عبـد العزيـز بحركـة ابن الدويش ، أمـره بالعودة حالاً إلى الأرطاوية ، واعتبر حركته من « الخوارج » ، وأرسل إلى العراق طالباً الضمانة الكافية بعدم قبول فيصل الدويش لاجئاً إذا عـاقبه وانهـزم إليـه ، كمـا حصـل في السـابق مـع بعض الـزعمـاء المتمردين . لكن الحكومة العراقية ، وبتوجيـه بريـطاني ، استغلت الكتاب الذي أرسله الملك عبد العزيز إليها ، وأعلنت « أن ملك نجد فقـد سيطرتـه على قبائله المتمـردة ، فلم يستطع اتخـاذ الإجراءات الجازرة ضد فيصل الدويش » . ثم راحت تعد العدَّة لتنفيذ عدوانها ضد الأراضي النجدية .

وفي شباط عام ١٩٢٨ م ، تحـركت قوة من الجيش العـراقي مدعومة بسرب من سلاح الطيران البريـطاني الذي راح يمـطر القرى والمضـارب النجديـة بوابـل من القنابـل ، وطالت التعـديـات بعض القبائل التي لا علاقة لها بقضية فيصل الدويش ، مما أدَّى إلى خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات .

٣ ـ ثورة فيصل الدويش :

ظهرت بسرعة نتائج التخطيط العراقي ـ البريطاني المشترك ، إذ أن روح النقمة على الملك عبد العـزيز ، شملت أنحـاء البلاد ،

وتزعَّم فيصل الدويش حركة الثائرين ، والتقى مع سلطان ابن بجاد رئيس « عتيبة » وابن حثلان رئيس « العجمان » وغيرهما من رؤساء القبائل ، على إعلان « الجهاد المقدس » ، وانتشرت دعوتهم بسرعة في جميع أنحاء نجد .

إثر هذه التطورات الخطيرة ، دعا الملك عبد العزيز إلى عقد مؤتمر شعبي عام ، في تشرين الثاني عام ١٩٢٨ م ، حضره العلماء ، وأمراء الأقاليم ، والحكام ، والقضاة ، وقادة الإخوان ، وشيوخ المدن والقرى ، وجميع أفراد الأسرة المالكة ؛ وتخلَّف عن الحضور فيصل الدويش ، وسلطان بن بجاد ، وابن حثلان الذين شقوا عصا الطاعة على الملك .

وكان الغائب الأكبر عن هذا المؤتمر والد الملك ، الإمام عبد الرحمن الفيصل الذي توفي قبيل انعقاده بقليل ، ففقد عبد العزيز بذلك سنداً قوياً ، ومرشداً ذا عقل نيِّر وحكمة كبيرة .

وفي هذا الجو المحموم الذي انعقد فيه المؤتمر ، بادر الملك عبد العزيز المجتمعين بقوله : « لا يخطرنَّ ببال أحد منكم أن الخوف منكم هو الذي حملني على عقد هذا الاجتماع . اسمعوا : لقد بنيت ملكي بعون الله وقوة ساعدي ، وهو جلَّتْ قدرته قد منحني النصر ، وأنَّ خوفي منه وحده هو الذي حملني على جمعكم هنا لأستنير بآرائكم ، ونقضي أمره فيما بيننا بالشورى ، فلا يتملَّكني ما يتملَّك بني البشر من غرورٍ وصلف » .

ثم فاجأ الحاضرين بقوله : « لقد بلغني أن الكثيرين منكم ليسوا راضين عني وعن حكومتي ، ولكنني لست ممن يتخلّون ، تحت الضغط والقوة ، عن عروشهم ، ولكني أتخلّى عنه الآن راضياً مختاراً ، واضعاً إيّاه بين أيديكم ، لأنني لا أرغب في حكم شعب لا يريد أن يتبعني بملء اختياره ؛ فإذا كان ذلك هو الواقع ، فانتخبوا سواي من أفراد الأسرة المالكة الحاضرين ، ولكم عهد الله عليَّ أن أحمله إلى العرش ، وأن أخدمه بكل أمانة وإخلاص » .

كان لهذه الكلمات وقعها في نفوس الحاضرين ، فتحول الموقف لمصلحة الملك عبد العزيز ، وعلت الصيحات مؤيدةً له : « لا ، لا ، لا نريد ملكاً سواك أنت يا عبد العزيز ! » . وانتهى الأمر بتراجع عبد العزيز عن نيته في التخلي عن العرش .

ثم أخذ الملك عبد العزيز يعد العدَّة لمواجهة المتمردين وخاصة فيصل الدويش ، الذي رفض عرضاً متسامحاً، من الملك عبد العزيز ، لمعالجة قضيتهم بطريقة ودية لقاء تراجعهم من تلقاء أنفسهم ، وطالب الملك بالتنازل عن العرش والعودة إلى النظام القديم . ثم بدأ يهاجم القرى النجدية ، ويتعرض للقوافل القادمة من الرياض بالتنسيق مع ابن حثلان ، وسلطان بن بجاد .

حشد الملك عبد العزيز، في آذار عام ١٩٢٩ م ، قوة كبيرة تحرّك قسم منها نحو الشمال ، والقسم الآخر نحو الجنوب ، لتطويق القرى الثائرة ، وكلَّف ابن عمه الأمير عبد الله بن جلوي أن يتكفَّل

بالعجمان وحلفائهم في المنطقة الشرقية .

وخلال فترة قصيرة تمكّنت القوات الملكية السعودية من اقتحام معسكر فيصل الدويش وأسره بعد أن أُصيب بجروح خطرة ، فيما تمكّن ابن بجاد من الإفلات مع مجموعة صغيرة من قواته ، وانسحب نحو الشمال .

وبرز تسامح الملك عبد العزيز جلياً ، في تصرفه مع فيصل الدويش ، إذ عفا عنه ، وطلب إلى طبيبه الخاص أن يعالجه ويعتني به ، مما جعل سلطان بن بجاد يستسلم دون قتال فحكم عليه بالسجن المؤبد ، واستسلمت عشائر مطير وعتيبة والقبائل الأخرى .

ثم أخضع الأمير عبد الله بن جلوي قبائل العجمان ، وفرَّ رئيسهم ابن حثلان إلى الكويت .

٤ ـ ثورة فيصل الدويش الثانية :

ما كاد فيصل الدويش يشفى من الجراح التي أصيب بها ، حتى راح يهيىء لثورةٍ جديدة ، وتمكّن من تحريك عشائر مطير وعتيبة ، والغطغط التي يتزعمها ابن بجاد ، وانضم إلى الثورة الجديدة فرحان بن مشهور ، من عشيرة الرولة ، وقسم من العجمان بقيادة ابن حثلان الذي عاد سرّاً من الكويت ، وامتدت نار الثورة إلى الاحساء أيضاً ، حيث حصلت تطورات دراماتيكية ، أدَّت إلى مقتل ابن حثلان خطأً على يد قائد القوات السعودية في المنطقة، فهد بن عبد الله بن جلوي آل سعود ، بعد

استسلامه له ، ومقتل هذا الأخير على يد حرسه من عشيرة العجمان التي ينتمي إليها ابن حثلان، وسيطرة هذه العشيرة على الموقف في الإحساء .

تحرَّك الملك عبد العزيز آل سعود بسرعة ، لمواجهة الثورة التي انتشرت على نطاق واسع ، وأرسل ولده الأكبر الأمير سعود على رأس قوة كبيرة إلى الاحساء ، فتمكَّن من هزيمة المتمردين هناك ، وأنزل ضربةً قاضيةً بالعجمان ، في خريف سنة ١٩٢٩ م .

ثم قاد الملك قواته المجهَّزة بالسيارات المسلحة ، لمواجهة فيصل الدويش وحلفائه ، ونجح في إلحاق الهزيمة بهم ، فهرب فيصل الدويش إلى البصرة ، ملتجئاً إلى الإنكليز ، الذين سلَّموه مع رفاقه إلى الملك عبد العزيز ، بناء على طلب الملك وإلحاحه . وحكم عليه بالسجن إلى جانب ابن بجاد ، وبقي فيه حتى وفاته . أما فرحان بن مشهور ، فقد التجأ إلى العراق ومنه إلى سوريا حيث قتل فيها لاحقاً .

وبذلك ختم فصلٌ طويل من الصراع ، كان بطل أدواره كلها فيصل سلطان الدويش ، الذي كان شخصية نادرة في قوتها وصلابتها ، ومن قادة الملك عبد العزيز الأكفاء ، وأزيلت عقبة أساسية على طريق تقوية وحدة الدولة واستقرار الأمور فيها .

٥ ـ حركة ابن رفادة :

بينما كان الملك عبد العزيز آل سعود يعمل جاهداً للتخفيف من آثار الأزمة الاقتصادية العالمية ، التي داهمت العالم عام ١٩٢٩ م ، على مملكته ، وما أعقبها من انحباس المطر والجفاف والقحط ، وتعذر استيراد المواد الغذائية وتصدير المنتوجات المحلية ، فوجىء بحركة ثورية جديدة يقودها الشيخ « حمد بن رفادة » من قبيلة « قضاعة » التي تقطن عادة في جهات تهامة ، انطلاقاً من الحدود مع الأردن الذي التجأ إليه . وكان الدافع وراء حركته مصالح مشتركة بين سلطان مصر عباس حلمي ومستشرق بريطاني يهتم باستخراج المعادن إضافة إلى الأمير عبد الله بن الحسين .

هاجمت قوة من الجنود السعوديين مواقع التمرّد وسيطرت عليها ، وانتهى الأمر بمقتل ابن رفادة مع ولديه وبعض أنصاره .

طور جديد من العلاقات مع العالم الخارجي

في خضم المواجهات التي كان يخوضها الملك عبد العزيز آل سعود ضد خصومه المحليين والخارجيين ، فقد نجح في إبرام سلسلة معاهدات حسن جوار مع الدول العربية المجاورة وبعض الدول الأوروبية ، وكانت كالآتي :

١ ـ معاهدة جدة مع بريطانيا :

بدأت المفاوضات بين الطرفين في تشرين الثاني ١٩٢٦ م ،

وأسفـرت عن عقد معـاهـدة جـدة في ٢٠ أيـار ١٩٢٧ م ، اعتـرف الإنكليز بموجبها بابن سعـود سيداً على الحجـاز ونجد وملحقـاته ، وبإقامة علاقات صداقة وسلام معه . وقد جُدِّدت هذه المعاهدة مـع تعديلات طفيفة بعد انقضاء مدتها عام ١٩٣٤ م .

ألغت معاهدة جدة ما تضمنته معاهدة « العقير » ، التي حدَّت من سيادة نجد ، واعتبرها عبد العزيز في حينه مهينة لبلاده .

٢ ـ معاهدة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م مع العراق :

تمَّ توقيعها خلال زيارة رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد إلى الحجـاز ، وأكَّـدت على الصـداقـة وحسن الجـوار بين البلدين ، وبروتوكول تحكيم ، وتبادل المجرمين .

٣ ـ معاهدة صداقة وحسن جوار مع اليمن :

عُقدت في ١٥ شعبان ١٣٥٠ هـ / ٢٧ كانون الأول « ديسمبر » ١٩٣١ م .

٤ ـ معاهدة مع فرنسا :

عُقـدت نيـابـة عن لبنـان وسـوريـا ، الخـاضعين لـلانتـداب الفرنسي ، وذلك في ١٠ تشرين الأول « نوفمبـر » ١٩٣١ م . وكان الغرض منها تقوية علاقات الودّ وحسن الجوار .

٥ ـ مع إيطاليا :

أبرمت في شوال ١٣٥٠ هـ/ ١٠ شبـاط « فبرايـر » ١٩٣٢ م ،

ونصت على إقامة علاقات سياسية وقنصلية بين البلدين ، والمحافظة على حسن الصلات بينهما والمعاملة بالمثل .

كما عقد الملك عبد العزيز معاهدات أخرى مع كل من هولندا ، والاتحاد السوفياتي ، وتركيا ، وإيران ، معززاً بذلك مركزه الدولي والإقليمي .

وعلى صعيد آخر ، وفي إطار العلاقات مع العالم الخارجي ، أوفد الملك عبد العزيز نجله الأمير فيصل ، الذي كان وزيراً للخارجية آنذاك ، إلى فرنسا ، وهولندا ، وإنكلترا ، وألمانيا ، وسويسرا ، وبولندا ، والاتحاد السوفياتي ، وتركيا ، وإيران ، والعراق ، لتوطيد العلاقات مع هذه الدول . وقد مكّنته هذه العلاقات من الإطلالة على نتاج التطور الصناعي في الغرب ، واستفاد من ذلك في عملية تحديث وتنظيم المملكة ؛ فجاء بالسيارات والأدوات والآلات اللازمة للحفر الارتوازي والوسائل الصحية لمكافحة الأوبئة ، وأقام المحطات اللاسلكية ، وباشر بانتشار قوةٍ جوية نواتها عشر طائرات ، وأوفد بعثة من الشبان للتدرُّب في المصانع الأوروبية ، وأسس وزارتي المعارف والماليَّة ، وأنشأ مدرسةً لتعليم الميكانيك . وبشكل عام نقل البلاد « من عصر الجمل إلى عصر السيارة والطائرة » .

السيطرة النهائية على عسير
وإعلان المملكة العربية السعودية

كان « الأدارسة » يحكمون مقاطعة عسير ، منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وأوَّلُ هؤلاء هو « السيد أحمد الإدريسي » ، من سلالة حكمت المغرب (مراكش) ، من القرن الثامن إلى القرن العاشر الميلادي . قدم السيد أحمد إلى مكة عام ١٨٢٥ م ، ثم هاجر منها إلى عسير ، وبسط نفوذه الروحي والسياسي عليها ، في ظل السيادة العثمانية الاسمية .

وفي عام ١٩٠٩ م ، ثار حفيده السيد محمد علي الإدريسي على تركيا ، وأصبح ، عملياً ، حاكم عسير المستقل . وعند نشوب الحرب العالمية الأولى ، أقام الإدريسي علاقات جيدة مع بريطانيا التي اعترفت به رسمياً ، ومكّنته من احتلال ميناء الحديدة ، كما ساعدته على الاحتفاظ بحكم عسير ، بالرغم من التهديد المستمر الذي تعرَّض له الشريف حسين في الشمال ، وإمام اليمن في الجنوب .

ترجع علاقة آل سعود بمنطقة عسير إلى بداية القرن التاسع عشر ، عندما تمكَّن سعود الكبير من السيطرة على المنطقة ، ثم تجدَّدت هذه العلاقة مع السلطان عبد العزيز آل سعود الذي استعاد السيطرة عليها ، وحافظ على علاقات ودِّية مع السيد الإدريسي . وقد

تكرَّس ذلك بمعاهدة صداقة بين الطرفين عام ١٣٣٨ هـ / ١٩٢١ م ، اعترف بموجبها السيد محمد علي الإدريسي بسيادة السلطان عبد العزيز على المناطق التي كانت في ملك آل سعود سابقاً ، فيما انحصرت سلطة الإدريسي في منطقة تهامة .

وبوفاة السيد محمد علي الإدريسي عام ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م ، خلفه ابنه الحسن . وفي أيامه ثارت المنازعات بين أفراد الأسرة الإدريسية ، فاغتنم إمام اليمن يحيى حميد الدين الفرصة ، وأخذ يتوسع على حساب الأدارسة ، واحتل الحديدة ، ثم اتجهت قواته نحو الشمال ، عندها وجد الإدريسي نفسه مضطراً إلى الاستنجاد بعبد العزيز آل سعود .

آثر عبد العزيز التريث في بادىء الأمر ، حتى إذا اتضح أن الإمام يحيى على وشك أن يضم عسير كلها إلى دولته ، عقد مع الإدريسي اتفاقية مكة في ٢٤ ربيع الآخر ١٣٤٥ هـ / ٢١ تشرين الأول ١٩٢٦ م ، التي اعترف بموجبها الإمام الحسن بن علي الإدريسي ، بسيادة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها على القسم الذي كان يحكمه الأدارسة في تهامة ، على أن يعترف عبد العزيز بحكم إمام عسير على تلك المنطقة ، وبحقه في إدارة شؤونها الداخلية . وقد جعلت هذه المعاهدة عسيراً تحت السيطرة السعودية غير المباشرة .

وفي عام ١٩٣٠ م ، عقد الملك عبد العزيز اتفاقية أخرى مع الإدريسي وُضعت بموجبها عسير تحت الحماية السعودية .

وفي ١٨ أيلول ١٩٣٢ ، وبغية إعطاء اسم موحَّد لمناطق نجد والحجاز وعسير، وبناء على اقتراح أُولي الأمر وقادة الرأي ومستشاري الملك وأفراد الأسرة المالكة ، صدر مرسوم ملكي يقضي بتوحيد البلاد في دولة واحدة تحت اسم : **المملكة العربية السعودية** ، وذلك وفاء للدور الكبير الذي قام به الملك عبد العزيز آل السعود في تأسيس هذه الدولة وتوحيد شعبها .

ونصَّ الأمر الملكي أيضاً على تكليف مجلس الوكلاء ، الشروع فوراً في وضع النظام الأساسي للملكة ، ونظام توارث العرش ، وتشكيل الحكومة .

وفي أيار ١٩٣٣ م ، وجَّه الملك عبد العزيز برقية إلى ابنه الأمير سعود بايعه فيها بولاية العهد . وقد تضمَّنت هذه البرقية أسس الحكم في المملكة العربية السعودية .

أدَّى هذا التغيير الجديد في خريطة المنطقة إلى نزاع حادٍ بين الملك عبد العزيز والإمام يحيى حميد الدين ، الذي لم يعترف بضم عسير إلى الأراضي السعودية ، واعتبرها جزءاً من اليمن . إلَّا أن المفاوضات التي جرت بين الطرفين بغرض تسوية سلمية لهذا النزاع ، لم تحلْ دون نشوب الحرب بين المملكتين الكبيرتين في شبه الجزيرة العربية .

استمـرت هـذه الحـرب مـدة شهـرين ، وانتهت بـاحتـلال القـوات السعوديـة سهـول تهـامـة وميـنـاء الحـديـدة . وتـدخـل في الأمر بعض زعماء العـالم العربي ، فـأمر الملك عبـد العزيـز بوقف الـزحف ، كما أظهـر الإمام يحيـى مـوقفاً لينـاً ، نتيجـةً للتـطورات العسكرية .

وفي ٢٠ أيـار ١٩٣٤ م، عُقدت بين الـطرفين اتفـاقيـة الـطائف التي أدَّت إلى تسوية الخلاف السعودي ـ اليمني نهـائياً على أسـاس اعتراف كل من الفريقين للآخـر باستقـلال مملكته التـام ، واعتراف إمام اليمن بحدود المملكة العربية السعوديـة ، بما في ذلـك منطقـة عسير .

ورغم أن آخر المتاعب التي واجهها الملك عبد العزيز كـانت حربه مع اليمن ، فإنه تعرَّض ، في أواخر أيام الحـج عام ١٩٣٥ م ، إلى محاولة اغتيال على يد أربعـة من اليمانيـين ، فيمـا كان يـطوف حول الكعبة المشرَّفة ، لكنـه نجـا من هـذا الحادث بمسـاعدة ولي عهده الأمير سعود بن عبد العزيز .

اكتشاف النفط وبداية الازدهار الاقتصادي

ما إن فرغ الملك عبد العزيز من تأمين وحدة الأرض والشعب والسلطة في إطار مملكته المترامية الأطراف ، حتى بدأ يفكـر بتأمين الموارد المالية والاقتصادية اللازمـة لتسيير أمـور الدولـة المعيشية ،

وتوفير الشروط الضرورية لتنميتها وازدهارها .

أشار بعض الباحثين والعلماء الأجانب على الملك بإمكانية وجود ثروة معدنية ونفطية في باطن الأرض السعودية ، فأمر بالتنقيب عن المعادن الثمينة في جبال الحجاز .

عهد الملك عبد العزيز باستخراج الذهب إلى شركة **أميركان سميلتن اندرفاينغ كومباني** . وفي عام ١٩٣٤ م ، أنشئت شركة لاستغلال الذهب تحت اسم : **نقابة التعدين العربية السعودية** ، وحصلت هذه النقابة على امتياز للبحث شمل منطقة الحجاز بأسره ، باستثناء منطقة خيبر وحدود البلدين المقدسين المحرمين : مكة المكرَّمة والمدينة المنوَّرة .

أما بشأن استغلال الثروة النفطية ، فقد تمَّ توقيع اتفاقية امتياز لاستخراج النفط من المنطقة الشرقية (الإحساء) ، بين الحكومة السعودية وشركة البترول العربية ـ الأميركية ، آرامكو، في ٢٩ أيار ١٩٣٣م . وقد نصت النقاط الرئيسية للاتفاقية على ما يلي :

١ ـ يسري الامتياز مدة ستين سنة ، اعتباراً من عام ١٩٣٣ م ، وفي نهاية هذه المدة تصبح جميع المنشآت التي تبنيها الشركة ملكاً للمملكة العربية السعودية .

٢ ـ حصر منطقة الامتياز بالجزء الشرقي للمملكة العربية السعودية ، الذي يمتد حتى الطرف الغربي للرقعة الرملية الطويلة

المعروفة باسم الدهناء .

ويُضاف إلى ذلك البنود التي تحدّد تفاصيل أعمال الشركة والحقوق المتعلقة بالطرفين .

وبعد خمس سنوات قضتها الشركة في الحفر والتنقيب ، ثبت لها أنَّ المنطقة التي حدَّدها لها امتيازها تشتمل على واحد من أكبر الأحواض النفطية في العالم .

وفي ١٦ تشرين الأول ١٩٣٨ م ، بدأ الإنتاج في حقل الدمام ، ومُدَّت خطوط الأنابيب اللازمة ، وأنشىء معمل التثبيت في الظهران ، وعبِّئت أول قافلة للزيت السعودي في الأول من آذار « مارس » ١٩٣٩ م ، من رأس التنورة ، بحضور الملك عبد العزيز آل سعود .

ترتَّب على إنتاج النفط بكميات تجارية كبيرة عَقْدُ اتفاقياتٍ جديدة لبناء وصيانة وتشغيل الأنابيب والأشغال الفرعية المتعلقة بها . فعقدت إتفاقية لهذا الغرض، في ١١ تموز « يوليو » ١٩٤٧ م ، مع شركة استندر أويل كومباني أوف كاليفورنيا، أو شركة خط الأنابيب عبر البلاد العربية السعودية ، والتي تفرَّعت عنها شركة التابلاين المسؤولة عن خط الأنابيب الممتد عبر المملكة العربية السعودية ، الأردن ، سوريا ، انتهاء بمصفاة الزهراني ، جنوبي مدينة صيدا في لبنان .

ثم عُدِّلت الاتفاقية الأساسية مع شركة البترول العربية الأميركية

(آرامكو) في ٣٠ أيلول « سبتمبر » ١٩٥٠ م ، بحيث أصبحت أكثر ملاءمة لمصالح المملكة العربية السعودية .

وفي كل هذه الإتفاقيات ، حرص الملك عبد العزيز على تفادي كل ما من شأنه تثبيت أقدام الأجانب في بلاده ، بفرض قيود شديدة على دخولهم إلى البلاد ، لقناعته بأن فتح باب الدخول الأجنبي إلى المملكة على مصراعيه يسمح بانتقال العادات الغريبة التي تتعارض مع التقاليد والعادات الإسلامية التي يسير عليها شعب المملكة . لذا ، حرص على زيادة الفنيين العرب العاملين في استخراج الثروات المعدنية .

أدى استخراج النفط بكميات كبيرة وازدياد هذه الكميات بصورة مضطردة إلى حصول المملكة العربية السعودية على الأموال اللازمة للتنمية ، وإدخال الآلة ، مما ساعد على الارتفاع بالبلاد السعودية من مستوى المجتمعات القبلية المتخلّفة إلى مستوى الدول النامية .

وهكذا ، فقد قيِّض لعبد العزيز آل سعود ، بعد نضاله الطويل ، أن يشهد على وجود الثروة الهائلة من الذهب الأسود التي تربض فوقها المملكة العربية السعودية .

التوجهات القومية للملك عبد العزيز

إذا كان الإنجاز الكبير للملك عبد العزيز قد تجلى بتأسيس

المملكة العربية السعودية التي ضمت مناطق نجد والحجاز والإحساء وعسير وجعل منها أمةً واحدة ، فإن هذا التوجه عنده قد حكم علاقاته مع العالم العربي الذي كان يخوض معارك استقلاله وتوحيده .

وليس أدلّ على ذلك من أن الحكومة العثمانية استعانت بأكثر من طرف محلي ، في شبه الجزيرة العربية ، لمواجهة الحركة الاستقلالية التي كان يقودها الملك عبد العزيز ، الذي أعرب عن وعيه القومي ، مذ أعلن انفصاله عن آل عثمان ، في بداية الحرب العالمية الأولى ، فكتب إلى الشريف حسين بن علي ، وابن الرشيد ، وإمام اليمن ، ومبارك الصباح ، يقول : « لقد علمتم سابقاً ولا شك بوقوع الحرب ، فأرى أن نجتمع للمذاكرة علناً ونتفق ، فننقذ العرب من أهوالها ، ونتحالف مع دولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا » .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، وعندما بدأت الدول العربية المستقلة تفكر باتخاذ الإجراءات التي تقارب فيما بينها، كان الملك عبد العزيز داعماً لهذا التوجه ، وكان له دور كبير في تأسيس جامعة الدول العربية التي وُقِّع ميثاقها في ٢٢ آذار ١٩٤٥ م ، في القاهرة ، بحضور الدول العربية المستقلة التالية : المملكة العربية السعودية ، مصر ، سوريا ، الأردن ، العراق ، لبنان واليمن .

كما سعى الملك عبد العزيز ، في أكثر من مناسبة ، إلى اتخاذ

المـواقف التي تساعـد على تدعيم التضـامن العربي، ورفض بـاصرار عرضاً قدَّمه له البريطاني جون فيلبي عام ١٩٣٢ م ، يقضي بأن تدفع لـه بريـطانيا مبلغ ٢٥٠ مليـون ريـال ، إضـافـة إلى مـوافقتهـا على استقلال جميع الإمارات العربية ، باستثناء عدن ، مقابل التخلي عن فلسطين ، مؤكداً أن الإمارات العربية ستستقل مهما طال الزمن ، أما فلسطين فالتخلي عنها مسألة لا تُعوّض ولا تُغتفر .

نهاية حياة حافلة بالمهام الكبيرة

بعد هذه السنين الطويلة المليئة بالكفاح ، المثقلة بالتحديـات والمواجهات ، وفي غمرة العمل للنهوض بالمملكة على طريق بنـاء الـدولة الحـديثة ، بكـل ما تنـطوي عليـه هـذه الكلمـة من معنى ، خصوصاً بعد اكتشاف الخيرات التي يحملها باطن الأرض السعودية ، بدأ المرض ينهك جسد الملك عبد العزيز ، واضطره إلى التخلي عن قسم كبير من مهامه لولي عهده الأمير سعود بن عبد العزيز ، مكتفيـاً بالبت في الأمور المهمة .

وبقي الملك عبد العزيز على هذه الحالة إلى أن قضى نحبـه في الثـاني من ربيـع الأول ١٣٧٣ هـ / التـاسـع من تشـرين الثـاني « نوفمبر » ١٩٥٣ م ، ونُقل جثمانه إلى الرياض ، ودفن فيها .

بايع أفراد الأسرة المالكة ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز ملكاً على المملكة العربية السعودية ، فأسند ولايـة العهد إلى أخيـه

الأمير فيصل بن عبد العزيز .

وبذلك انتهت حياة هذا الرجل الكبير الذي كان له الفضل الأول والأخير في تأسيس المملكة العربية السعودية ، لا بل « إن هذه المملكة في طفولتها وفي مختلف أطوارها هي تاريخ لحياة الملك عبد العزيز » .

فهرس المحتويـات


مطابع يوسف بيضون
بيروت - هاتف ٨٣٧٦٦٧ - ٨٣٧٤٤٩ - ٤٦٠٧٤٣

تطمح سلسلة « مشاهير وأحداث إسلامية » إلى أن تضع بين يدي القارىء الكريم زاداً ميسَّراً من سير أبرز أعلام المسلمين الذين كانوا عنواناً للحدث ، مراعية في اختيارها لهم الفرادة في الحضور التاريخي والتأثير في مجرى الأحداث .

- الرسول ﷺ
- أبو بكر الصِّدِّيق
- عمر بن الخطّاب
- عثمان بن عفان
- علي بن أبي طالب
- خالد بن الوليد
- عمرو بن العاص
- أبو عبيدة بن الجرَّاح
- معاوية بن أبي سفيان
- زياد بن أبيه
- عبد الملك بن مروان
- عمر بن عبد العزيز
- الحجاج بن يوسف الثقفي
- المغيرة بن شعبة الثقفي
- موسى بن نصير
- طارق بن زياد
- عبد الرحمن الداخل
- هارون الرشيد
- المأمون
- سيف الدولة الحمداني
- نور الدين زنكي
- صلاح الدين الأيوبي
- الظاهر بيبرس البندقداري
- الناصر محمد بن قلاون
- عبد العزيز آل سعود
- فيصل بن عبد العزيز
- جمال عبد الناصر

